معالم التوحيد
في الحج

تأليف
أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر

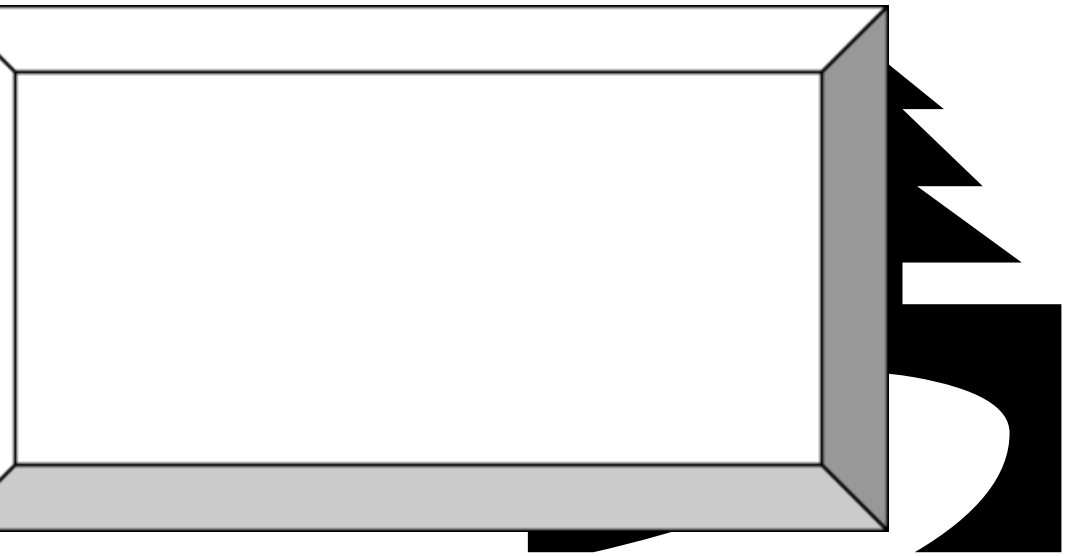

المقدمة

الحمد لله الذي فرض الحج إلى بيته الحرام، أحمده وأشكره على نعمه وآلائه العظام، وأصلي وأسلم على أفضل من صلّى وزكى وحجّ وصام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم، واتبع نهجهم إلى يوم يبعث الأنام، أما بعد:

فإن من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة المحمدية أن جعل التكاليف الشرعية منطلقة من منطلقات يقينية ثابتة، ومتوجهة إلى تحقيق أهداف محددة واضحة، ومن هذه التكاليف العظيمة الحج إلى بيت الله الحرام، تلك العبادة الفردية في أدائها، الجماعية في مظهرها ومكانها وزمانها، ومهما كتب الكاتبون، وتحدث المتحدثون عن هذه الشعيرة الجليلة التي يظهر من خلالها عظمة هذا الدين فلن يوفوها حقها، ولذا تعددت الكتابات وتنوعت، من مُظهرٍ أحكامَ هذه الشعيرة ومُرَكِّزٍ عليها، إلى مستطرد في منافع الحج الدنيوية والأخروية وباسط فيها، ومن مبيِّن فضلها وآثارها إلى موضِّح تاريخها وعلاقتها بالبيت الحرام، إلى غير ذلك من الكتابات النفيسة العظيمة، غير أني لم أجد من أفرد بالكتابة علاقة هذا

الحج العظيم بتوحيد الله سبحانه وتعالى، ودلالة هذا الحج عليه ومؤداه إليه، وعند تأملي لآيات الحج وجدت أن هناك رابطًا عظيمًا بين التوحيد ونفي الشرك وبين الحج، مثل قوله تعالى: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[1]، وقوله تعالى: (ﻫﻬﻭﻮﻯﻰﻱﻲﻳﻴﻵﻶﻷﻸﻹﻺﻻﻼ)[2]، فدعاني هذا إلى مزيد التأمل والنظر؛ حتى وصلت إلى قناعة تامة بأن الحج إلى بيت الله الحرام بجميع أقواله وأعماله وشعائره ـ كأي عبادة أخرى ـ تنطلق من «لا إله إلا الله» لتحقق تعميق «لا إله إلا الله» في النفوس بجلاء ووضوح، ابتداء من إقامة بيت الله الحرام وبناء الكعبة المشرفة، ثم تشريع الحج إلى هذا البيت العظيم، وهكذا في كل أقوال الحج وأعماله.

فجاءت هذه الكلمات موضحة هذا المعنى الكبير، فلعل الحاج الكريم وقد وفد إلى هذا البيت العظيم، باذلًا جهده وماله، تاركًا أهله وديارَه، متحملًا المشاق والتعب، مستجيبًا لنداء ربه ومولاه، طامعًا في رجائه، خائفًا من عذابه، أقول: لعله أن يجدد علاقته بربه وهو يؤدي هذه العبادة، ويعمق ثقته فيه، ويزيد في توحيده وهو يعلن: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك

---

[1]() سورة الحج، الآية 26.

[2]() سورة آل عمران، الآية 97.

لك لبيك» ويردد بصوت عال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» متأملًا فيما يردده ويقوله ويعلي صوته فيه.

فهذه الكلمات مذكرة بهذا المعنى، فأدعو كل مسلم بعامة، وكل حاج بخاصة، لتأمل هذه الشعيرة العظيمة ليخرج بهذه الثمار اليانعة.

ولمزيد من التوضيح فقد جعلتها في وقفات، كل وقفة تظهر معنى من المعاني في الحج ودلالته على توحيد الله تعالى، متوخيًا عدم الإطالة، مع شيء من التوضيح والبيان، مستدلًا لما يحتاج إلى استدلال، أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يعود الجميع بحج مقبول وسعي مشكور وذنب مغفور، وأن يجعل هذه الكلمات من المدخرات في الحياة وبعد الممات إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين.

وكتبه

فـالح بـن محمـد بـن فالح الصغير

الرياض 1424هـ

[redacted]

ص. ب 41961 الرياض

11531

Faleh@alssunnah.com

الوقفة الأولى :

الحج حقيقته وتاريخه

الحج لغة: هو القصد والزيارة.

وهو اصطلاحًا: قصد بيت الله الحرام في زمن مخصوص لأداء أعمال مخصوصة، وهي الطوف والسعي والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى ورمي الجمار والحلق أو التقصير.

والحج فرض على كل مسلم مستطيع في العمر مرة واحدة لقوله تعالى: (ﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗ)[3].

وهو ركن من أركان الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»**[4].

ومن ينكر وجوب الحج فهو كافر، كالمنكر لفرضية

---

[3]() سورة آل عمران، الآية 97.

[4]() صحيح مسلم، رقم(93) ص(24 – 25).

الصلاة أو الصيام أو الزكاة، قال تعالى: (ۇۇ ۆۆۈۈۇ)[5].

وهذا الركن فرض على الناس منذ عهد نبينا إبراهيم عليه السلام بعد أن أقام البيت مع ابنه إسماعيل عليه السلام، فكان ذلك النداء الرباني الأول بأمر الله تعالى خليله بأن يؤذن في الناس أن يأتوا لهذا البيت ويذكروا الله فيه ويعظموا شعائره وحرماته. فقال جل شأنه: (ڈڈژژڑڑکککک گگ)[6].

وبقي الناس من ذلك الوقت إلى عهد النبوة المحمدية يحجون إلى بيت الله الحرام، ولكنهم لم يبقوا على ما كان عليه إبراهيم عليه السلام والنبيون من بعده، فخلطوا أداء هذا النسك العظيم بطقوس دخيلة وانحرافات عقدية، فمزجوا الطيب بالخبيث، والصالح بالفاسد، وعندما بعث الله خاتم الأنبياء والرسل محمدًا ﷺ كان الشرك في أوجه، فقد تحولت هذه العبادة حينها إلى عبادة شركية خالصة، يتوجه فيها الناس بالدعاء والتوسل إلى الأصنام والأوثان، وقد وصل عدد هذه الأصنام والتماثيل ما يقرب من ثلاث مئة وستين صنمًا في بيت الله المحرم، حتى بلغ بهم الانحراف إلى الطواف بالبيت حفاةً عراةً، يصفقون ويصفرون، يقول جل شأنه في حالتهم

---

[5]() سورة آل عمران: الآية 97.

[6]() سورة الحج: الآية 27.

هذه (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [7].

وبالرغم من هذه الانحرافات العقدية وهذه السلوكيات الشركية، إلا أنهم كانوا يقدرون حرمة هذا البيت وعظمته، فلم يكونوا يقاتلون فيه وإنما كان قتالهم خارجه، حتى إن الرجل ليرى قاتل أبيه في البيت فلا يقتله، لعظم حرمة البيت في نفوسهم، إلى أن جاءت الرسالة الإسلامية الخاتمة على يد محمد ﷺ، فأنكرت ما يفعله المشركون وأنكرت عليهم أصنامهم وأوثانهم، ودعتهم إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، ونبذ كل ما هو لغير هذا الخالق من ذكر أو عبادة أو ذبح أو غير ذلك.

وسميت سورة في القرآن الكريم بسورة الحج لعظم شأن هذا النسك وأهميته، وقد بين لنا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام مكانة الحج بين العبادات الأخرى، وعدّه أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله والجهاد في سبيله، عن أبي هريرة ط قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم جهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[8].

---

[7] () سورة الأنفال: الآية 35.

[8] () صحيح البخاري، رقم(1519)، ص(247).

وعن عائشة ك أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»(9).

وإن كثيرًا من أفعال الحج تتمركز في البيت الحرام الذي هو أول بيت وضع لعبادة الله في أرض الله، وإقامة شعيرة الحج فيها، لقوله تعالى: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ﴾(10).

وهناك مشاعر أخرى غير الكعبة لابد للحاج أن يزورها ويبيت بها ويصلي فيها، لإتمام حجه، ومن أهم هذه الأماكن والبقاع «عرفات» وهو أهم ركن في الحج، ولا يقبل الحج من دونه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة»(11)، وكذلك مزدلفة ومنى والمسجد الحرام، بما فيها الكعبة المشرفة والحجر الأسود ومقام إبراهيم، وغيرها.

وكلها مواضع لتوحيد الله تعالى وإقامة ذكره وتعظيم شعائره، وهي تدل على مدى استقامة الزائر والمقيم وصدق

---

(9) صحيح البخاري، رقم(1520)، ص(247).

(10) سورة آل عمران، الآيتان: 96 - 97.

(11) جامع الترمذي، رقم (889)، ص(219)، ورواه النسائي وابن ماجه.

تقواه لقول الباري عز وجل: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[12]. وقوله: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[13].

والحج ليس رحلة لعادة موروثة أو اندفاع لهوى جامح، أو وثنية قديمة كما قال بعض المستشرقين الذين أرادوا أن يشككوا في كل شيء من هذا الدين، متجاهلين ما كانت عليه الجاهلية قبل الإسلام في أمور الحج وغيرها من المظالم والشركيات، وكيف ربط الإسلام فكر الإنسان بخالق الكون الحقيقي، عن طريق محمد ﷺ.

وإنما الحج في حقيقته هو امتثال لأمر الله تعالى في تنقله بين المشاعر المقدسة، بين منى وعرفات ومزدلفة والبيت الحرام، وكل ذلك وفق برنامج دقيق ومرسوم من رسول الله ﷺ، فليس له أن يتجاوز الخطوط العريضة لهذا البرنامج وهذه الخطة، فإنه إن فعل ذلك يحدث خللًا في النسك، ويدخل فيه ما ليس منه، ويفتح بابًا للخروج من قول الرسول ﷺ: «خذوا مناسككم»[14]، وكل ذلك عبارة عن إعادة وتجديد لحياة إبراهيم عليه السلام، الذي انتقل في أرض الله كثيرًا إلى أن جاءه أمر ربه ببناء هذا البيت الذي سيكون له شأن عظيم في

---

[12] () سورة آل عمران، الآيتان: 96 - 97.

[13] () سورة الحج، الآية: 30.

[14] () مسند الإمام أحمد، رقم(14472)، ص(1008).

مستقبل الأمة وتاريخها وحضارتها.

وإذا كان الحج لإقامة ذكر الله وإحياء توحيده؛ فإن هذه

الوقفة الثانية :

التوحيد في تشريع الحج

يتجلى توحيد الله سبحانه وتعالى في كل شعائر الإسلام وفرائضه وآدابه، إلا أنه يبدو أكثر جلاء ووضوحًا في الحج، حيث لا يخلو نسك أو ركن منه إلا وفيه علامة أو إشارة إلى توحيد الخالق عز وجل قولًا أو عملًا، سواء كان هذا التوحيد في الربوبية أو الألوهية أو في الأسماء والصفات، وذلك لأهميته العظيمة في حياة الإنسان أو في الأسماء والصفات، وذلك لأهميته العظيمة في حياة الإنسان، وهي الحقيقة التي أرسل الله الرسل والأنبياء لترسيخها في نفوس الناس والعمل بمقتضياتها، وإزالة كل ما هو لغير الله من هذه النفوس من عبادة للأحجار أو الأشجار أو الكواكب أو البشر أو القبور أو الأضرحة، يقول الله تعالى: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[15]، ويقول جل شأنه: (ئى بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم)[16]، وكذا قوله جل وعلا: (ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ)[17]، والآيات

---

[15]() سورة النحل، الآية: 36.

[16]() سورة الكهف، الآية: 110.

[17]() سورة آل عمران، الآية 64.

القرآنية في الدعوة إلى التوحيد كثيرة جدًّا، حتى قال بعض العلماء: إن غالبية سور القرآن تتضمن نوعي التوحيد.

ولأهمية التوحيد في حياة الإنسان وعظم شأنه، وصى به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأمة وهو في مرض الموت، وبيّن مفاسد الشرك وأسبابه، فقال: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»([18]).

هذا كله لأن حياة الإنسان ـ بكل مجالاتها وسبلها ـ مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمدى صلاحية عقيدة الإنسان وتصوره نحو ربه جل وعلا، فكل أعمال الإنسان معلقة ومتوقفة على هذه العقيدة وذلك التصور، فإن كانت مبنية على التوحيد كانت مقبولة عند الله ويثاب عليها خير الجزاء، أما إذا ألبست بالشرك، فإن ذلك يذهب بالعمل ويجعله هباء منثورًا وإن صبغت هذه الأعمال بالخير والصلاح، ثم يكون مقر صاحبها ومثواه الخلود في النار والعذاب، قال الله تعالى في كتابه العزيز: (ﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗ)([19]).

ولعظم أمر العقيدة وتوحيد الله تعالى وأهميتها في حياة الإنسان استغرقت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لترسيخها وإقامة

---

[18]() صحيح البخاري، رقم(435، 436)، ص(75 – 76)، ورواه مسلم والنسائي.

[19]() سورة النساء، الآية 48.

دعائمها بالشكل الصحيح في نفوس الصحابة ثلاثة عشر عامًا في مكة المكرمة، وكان نزول القرآن لا يتجاوز هذا الموضوع إلى شيء آخر، فالتوحيد هو محور الآيات المكية كلها، فلا تتطرق إلى الأحكام والمعاملات إلا نادرًا، لذلك كانت هذه الفترة أطول من فترة نزول أحكام الدولة وأحكام الجهاد والمعاملات، والتي استغرقت عشرة أعوام فقط، كل ذلك من أجل توطيد عقيدة التوحيد في النفوس، وإعلاء لوائها في الأرض، لرفعة الإنسان وسموه، فهو الذي سجدت له الملائكة، وسخر الله له ما حوله من الدواب والنبات وما أنزل من السماء وما أخرج من الأرض، فلا يُعقَل مَنْ هذا شأنه أن يسجد لصنم أو لحجر أو لشخص، فهو فوق ذلك وأسمى؛ بل الواجب أن تكون عبادته وعمله وحياته ومماته لله رب العالمين الذي بيده ملكوت السموات والأرض، لذا قال الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام في دعوته إلى التوحيد: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»([20]).

وفي حديث ابن عمر ط قال: قال رسول الله ﷺ:

---

[20]() صحيح البخاري، رقم(25)، ص(7).

«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[21].

وجاء في الصحيحين عن ابن عباس ط قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى أهل اليمن قال: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم..»[22] الحديث.

وأما وجود حقيقة التوحيد في الحج، فلا يخلو عمل أو نسك من نسك الحج إلا فيه دعوة لتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، وكذا فيه دعوة إلى نبذ كل أسباب الشرك وما يؤدي إليه، وتتبين هذه الدعوة في قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)[23] حيث إن الأساس الذي بني عليه بيت الله الحرام هو أساس التوحيد ونبذ الشرك بكافة صوره وأشكاله، فقال جل شأنه مخاطبًا نبيه إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت: (ﮃﮄﮅﮆ ﮇ)[24] فلا يبقى في البيت إلا المؤمنون، فلهم بني هذا البيت من أجل إقامة الصلاة والذكر وأداء نسك الحج، فكان هذا هو

---

[21]() مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم(4869).

[22]() صحيح البخاري، رقم(7372)، ص(1268).

[23]() سورة الحج، الآية 26.

[24]() سورة الحج، الآية 26.

الإعلان الواضح المبين للناس كافة على لسان إبراهيم عليه السلام، الذي أرسى دعائم هذا البيت وأقامها مع ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، إلى أن كان الأمر الحاسم والجازم للأمة الإسلامية بأن لا يدخل هذا البيت ولا الحرم كله مشرك، وأن لا يبقى في جزيرة العرب كلها مشرك، فقال الله تعالى: (ٹٹٺٺٹٹٹٺٺڤڤڦڦڦڦڄڄڄ ڄڄڃڃڃڃ)([25]).

ويقول الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»([26]).

فالإعلان لفرضية الحج كان قائمًا على توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، من يوم أن بني البيت إلى أن بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، الذي جاء داعيًا لما دعا إليه قبله إبراهيم عليه السلام، وناهيًا عن كل ما امتزج بتلك الدعوة من الشركيات والعبادات لغير الله.

والدعوة إلى توحيد الله أمر ضروري للإنسان في حياته الدنيوية والأخروية، حيث تترتب عليه بقية أعماله، فالإنسان الموحد حقيقة، يكون سلوكه وأعمال جوارحه انعكاسًا لهذا

([25]) سورة التوبة، الآية 28.

([26]) صحيح البخاري، رقم(4431)، ص(754)، وكذا رواه مسلم وأحمد وأبوداود.

التوحيد، فيقبل الله منه أعماله ويجعلها في ميزان حسناته، وتكون ذخرًا له يوم القيامة، بعكس المشرك الذي يتخذ آلهة من دون الله، حيث تكون كل أعماله فاسدة لفساد تصوره وعقيدته، وقد بيّن الرسول الكريم ﷺ، أن القلب العامر بالإيمان يكون له آثار صالحة على أعمال الجوارح، أما القلب الخاوي من هذا الإيمان فلا يكون له أثر إلا الفساد الوخيم والعمل القبيح، يقول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»([27]).

ثم إن الشرك بالله يدخل صاحبه في دوامة الاضطرابات والقلق، حيث تكثر عليه الأوامر من كل إله وبشكل مختلف، مما ينتج عن ذلك التناقض والاختلاف، فيحل الحلال ويحرم الحرام، يقول الله تعالى: (ۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅ ۅ ۉ ېېېېددئا ئا ئـ)([28]).

وقد تجاوز هذا الشرك إلى الضلال والفساد في الحياة الاجتماعية والأخلاقية، ابتداء من وضع المرأة المزري في ظل الآلهة المصطنعة، وانتهاء بالطواف عراة حول الكعبة المشرفة، وما بينهما من فساد في المعاملات بين الناس،

---

[27]() متفق عليه واللفظ للبخاري، ينظر، رقم(52)، ص(12).

[28]() سورة الأنبياء، الآيتان: 21- 22.

ووجود الفوارق الطبقية الفاحشة بينهم، وانقسامهم إلى سادة وعبيد، وقد وصف الله تعالى في كتابه العزيز حالة الإنسان المشرك في صورة عميقة من حيث الوصف والبيان فقال: (پپ پپپپيپتتٹٹٹٹٹٹ)[29].

ويقول الله تعالى في وصية لقمان لابنه: (ٹٹٹٹٹٹڤڤڤڤ ڤڤڤڤڃڃڃ)[30].

□□□□□

[29] () سورة الحج، الآية 31.
[30] () سورة لقمان، الآية 13.

الوقفة الثالثة :

التوحيد وفضائل الحج

لقد بيّن الله تعالى لعباده القصد من أداء نسك الحج بالصورة المرسومة لنا في سورة الحج، عندما أمر نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت بالأذان فيه بالحج، فقال جل ذكره: (ڈڈڎڑڑکککک گگگگڳڳگگںںڻڻۀۀہہھھےےۓۓڭڭۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅۅۉۉېېىىئائائەئو ئو)[31].

فيتبين من خلال هذه الآيات الكريمات فضائل كثيرة ومهمة، منها دنيوية تتعلق بمصالح الناس ومنافعهم أثناء أداء هذه العبادة وبعدها، ومنها أخروية تتعلق بما يترتب عليها من أجر وثواب ومغفرة وبالتالي جنة الله ورضوانه، ونذكر بعض هذه الفضائل مع علاقتها بتوحيد الله تعالى.

1- **في الحج تبادل المنافع والمصالح بين المسلمين من شتى البلاد**، وعرض للسلع والمنتوجات في هذه البلاد.

ولا يستغرب أحد هذا الأمر في الحج لكونه نسك عبادة

---

[31]() سورة الحج، الآيات 27 - 30.

وذكر، فإن ذلك لا يمنع الاستفادة فيه ماديًا، وقد أباحه الله في كتابه العزيز بقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)[32].

وعن ابن عباس ط قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) في مواسم الحج[33].

وقد قرأ ابن عباس ط هذه الآية (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) قال: كانوا لا يتجرون بمنى فأمروا بالتجارة إذا أفاضوا من عرفات»[34].

فهذه الأدلة وغيرها كافية للقول بجواز التبادل التجاري في موسم الحج.

وهذه من منافع الحج الدنيوية التي أشار إليها القرآن في الآية الكريمة السابقة.

2- **أما المنافع الأخروية**، ففي الحج مغفرة للذنوب والخطايا ما لم تشوبه المعاصي، وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وأن الحاج يعود بعد الحج كيوم ولدته أمه.

عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجّ

---

[32] () سورة الحج، الآية 28.

[33] () صحيح البخاري، رقم(4519)، ص(768).

[34] () سنن أبي داود، رقم(1731)، ص(255).

هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»([35]).

عن أبي هريرة ط أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»([36]).

والحج يجبّ ما قبله من الآثام والمعاصي، فعن عبد الرحمن بن شماسة قال: حضرنا عمرو بن العاص ط وهو في سياقة الموت يبكي طويلًا، قال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعنك فبسط يمينه، فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»([37]).

وهذا لا يكون إلا للحج المبرور، والمبرور: الخالص من الشوائب، الـمُخلَص لله سبحانه، وعلى هدي رسوله ﷺ.

3- **وفيه إحياء للأخلاق الكريمة الفاضلة،** والروح الإسلامية السمحة، ويظهر ذلك من خلال أكبر تجمع عالمي

---

[35]() صحيح البخاري، رقم(1819)، ص(293)، وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي.

[36]() صحيح البخاري، رقم(1773)، ص(285)، كذا رواه مسلم.

[37]() رواه مسلم في صحيحه مطولًا، رقم(321)، ص(64 – 65).

في مكان واحد، يصل عدد الحجاج فيه أحيانًا أكثر من مليوني حاج ما بين قوي وضعيف، رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا، يختلفون في العادات والتقاليد، والذوق والتفكير، رغم كل هذا لا تنشب بينهم نزاعات ومشاجرات، ولا جدال ولا مخاصمات، في هذا الموقف العظيم المبارك تتجلى أخلاقيات أمة الإسلام جلية للعالم بأسره، وتتجلى سماحة هذا الدين للقاصي والداني، ولو أن أية أمة أخرى اجتمعت في مثل هذا الموقف وبهذا العدد الهائل وهذا التعقيد البشري المتنوع بالعادات والتقاليد، لما خلا أمرهم من القتل والضرب والسباب وغيرها، وفي هذا شهادة ووسام لهذه الأمة الخيرة التي وصفها الله تعالى في كتابه العزيز: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕ)[38] كل ذلك امتثالًا منهم لقول الحق تبارك وتعالى: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[39]، ولقوله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[40].

4- **في الحج تستجاب الدعوات،** لتوافر بعض عوامل قبول الدعاء من الشعث، والسفر، وكذا فيه الأماكن التي لها

---

[38] () سورة آل عمران، الآية 110.

[39] () سورة البقرة، الآية 197.

[40] () صحيح البخاري، رقم(1819)، ص(293)، وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي.

منزلة وحرمة عند الله تعالى في عرفة والمسجد الحرام أمام الكعبة وعند الطواف والسعي وغيرها من المواقع المباركة، وكذا زمنه زمن خير ورحمة فهو أيام معلومات (أ ب ب)[41] ففيه يوم عرفة، وأيام منى، ووقت الطواف والسعي، ويقول الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام في هذا: «الحجاج والعمّار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم»[42] ويقول: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[43].

5- **في الحج تذكير باليوم الآخر**، ووقفة الحشر، عندما يظهر الحجاج بملبس واحد في صعيد واحد، مع بيان أشكالهم واختلاف أعراقهم ومناصبهم، يقفون بين يدي العزيز الجبار، وقد هدّهم التعب، وأنهكتهم التنقلات والأسفار، ولفحت جلودهم حرارة الشمس، يرجون رحمته وغفرانه، فهذا الموقف صورة تذكر بيوم الحشر الذي لا يعرف فيه خليل خليله، ويفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤيه، فالكل حاسر الرأس والشمس قريبة منهم، وينتظرون الجزاء إما الجنة وإما النار.

---

[41]() سورة البقرة، الآية 197.

[42]() سنن ابن ماجه، رقم(2892)، ص(418 – 419).

[43]() صحيح مسلم، رقم(6682)، ص(1144).

وهذا – أعني التذكير باليوم الآخر – من أعظم الدلائل للإيمان والتوحيد وترسيخه في النفوس.

6- **في الحج يتحقق مبدأ المساواة بين الناس غنيهم وفقيرهم**، حاكمهم ومحكومهم، أبيضهم وأسودهم، فتذوب كل العلاقات والوجاهات، والأنساب والمناصب، وتتلاشى الفوارق الطبقية والعرقية واللونية، فلا يظهر في الحج إلا آصرة العقيدة والدين التي هي الشريان الحي المتدفق الذي يوصل المسلمين من شتى الأصقاع بعضهم ببعض، بخلاف ما كان عليه المشركون من قبل أثناء أدائهم الحج، فقد كانت قريش تتخذ لنفسها مكانًا خاصًّا تميزها عن الآخرين في الحج، فلا يقفون في عرفات مع الناس، ولا يفيضون من حيث يفيض الناس إلى المزدلفة، وكان ذلك سببًا في تذكير الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: (ﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗ)[44].

وعن عائشة ك: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: (ﮎﮏﮐﮑﮒﮓ)[45].

---

[44]() سورة البقرة، الآية 199.

[45]() صحيح البخاري، رقم(4520)، ص(768).

وهذا من أعظم مبادئ هذا الدين الذي يظهر بصورة جلية في هذا الحج.

7 – **الحج مؤتمر إسلامي عالمي،** ينعقد في كل عام مرة واحدة، يتعارف فيه المسلمون على بعضهم، وينبغي أن يتداولوا بينهم أمورهم، وأن يعرضوا مشكلاتهم وأحوالهم، فيتشاور أهل العلم والذكر والرأي لوضع الخطط القويمة التي تنهض بالعالم الإسلامي وتوحد قوتهم وكلمتهم ضد ما يحاك عليهم من مكائد ومصائد من ملل الكفر قاطبة، وأنعم بهذا المؤتمر وأكرم به في ظل الإيمان الخالص، وبالقرب من بيت الله المحرم، وفي أحب الأزمان إلى الله وأحب البقاع، ولو استغل المسلمون هذا الموسم بالشكل المطلوب لتغيرت أحوالهم وتبدلت أوضاعهم، ولأبدلهم الله عزًّا من بعد ذل، وريادة من بعد التبعية والتقليد.

8 – **وفي الحج إحياء للتوحيد،** وتجديد له في النفوس، فكل أعمال الحج محيية لذلك، كما سيتضح جليًا في بقية الوقفات.

□□□□□

الوقفة الرابعة :

النداء الإلهي للناس بأ
والاستجابة له

إن النداء الإلهي للناس بالحج إلى بيته العتيق مَعْلَم بارز من معالم توحيده جل وعلا، وفق الصورة التي رسمها للمسلمين رسولُهم ﷺ من حيث القول والعمل، فهو نداء الخالق لخلقه عن طريق نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام، وهو النداء الأول لرفع شعائره جل شأنه في أشرف بقعة على أرضه، وهو بمثابة إعلان لإعلاء كلمة التوحيد والحق على كلمة الشرك والباطل، وتأسيس لقاعدة متينة تكون جامعة للأمة المسلمة ورابطة بين أبنائها، في مستقبلها، وطريق دعوتها الحافل بالمكاره والخطوب.

وكان هذا النداء الرباني بمثابة حبل عقدي يربط المسلمين أولهم وآخرهم بخالقهم جل وعلا، ومع أنه جاء في كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ، إلا أنه امتداد للنداء نفسه الموجه إلى نبينا إبراهيم عليه السلام لبناء البيت والدعوة إلى الحج فقال جل شأنه: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎ

ﮐﮑﮒﮓ ﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ
ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰ)([46]).

يحتوي هذا النداء على كل معاني التوحيد، والطرق المؤدية إليه من خلال بناء البيت على أساس العبادة لله وحده وعدم الإشراك به وتطهيره للطائفين والقائمين، لاستقبال الجموع البشرية الهائلة من مشارق الأرض ومغاربها، ليروحوا عن أنفسهم أعباء الدنيا ومتاعبها، ويطهروا قلوبهم مما تعلقت بها من الذنوب والمعاصي، متوجهين إلى الكعبة التي شرفها الله للانطلاق إلى حياة جديدة قائمة على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ثم إن هذا النداء الخالد يحتوي على ذكر ما ينفع الناس في دنياهم واتخاذ أسباب العيش والمنفعة بينهم، والحض على مد يد العون لإخوانهم الفقراء، وأهم من هذا كله تعظيم شعائر الله التي هي المقصد من وراء أداء نسك الحج وزيارة بيت الله الحرام، واجتناب الرجس من الأوثان الذي هو الشرك بالله والكفر به، وقد وصفها الحق تبارك وتعالى بالرجس لأنها تُلوث فكر الإنسان وتصوره عن خالقه، وتصف الله سبحانه وتعالى بما لا يليق به من وصف الملائكة بنات لله، تعالى الله عما يصفون، أو وجود نسب بينه جل وعلا

---

[46]() سورة الحج، الآيات 26- 30.

وبين الجن، يقول جل ذكره: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [47].

هذا من جانب، أما من الجانب الآخر، فإن توحيد الله تعالى يظهر واضحًا من تهيئ الناس من أصقاع الأرض بمختلف أعراقهم وألوانهم ومستوياتهم للتوجه إلى أماكن محددة استجابة لنداء واحد من رب واحد، لأداء فريضة ثابتة عند جميع المسلمين، رغم تباينهم واختلافهم في أمور كثيرة، راجين القبول والرضى من الواحد الأحد، وقد تركوا الأهل والأحباب، وهاجروا الديار والبلاد، وتجردوا من الدنيا وزخرفها، قاصدين بيت الله الحرام لأداء نسك الحج، استجابة لأمر الله تعالى وتنفيذًا لوعده لإبراهيم عليه السلام، قائلين بأعلى صوتهم «لبيك اللهم لبيك لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك له»، ووجبت عليهم الاستجابة والتلبية لنداء الرحمن الرحيم الذي وعدهم – ووعده الحق – بالمغفرة الكاملة، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول:

---

[47]() سورة الصافات، الآيات 149 - 159.

انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا ضاحين جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُرَ يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»([48]).

قالت عائشة ك: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء»([49]).

وكيف لا يستجاب لنداء الله لزيارة بيته المحرم وأجر العبادات فيها مضاعف إلى مئة ألف مرة، وهي فرصة للمسلم يستغلها إن استطاع إلى ذلك سبيلًا، حيث لا تتوفر هذه الفرصة في مكان آخر من أرض الله، إلا في هذه البقاع المباركة، لا سيما في نسك الحج، يقول الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»([50]).

وقال الحسن البصري رحمه الله في فضائل مكة: «من صلى فيها صلاة رفعت له مائة ألف صلاة، ومن صام فيها

---

[48]() صحيح ابن حبان (9/164)، ورواه ابن خزيمة وأبو يعلى وغيرهم.

[49]() صحيح مسلم، رقم(3288)، ص(568 – 569).

[50]() صحيح البخاري، رقم(1190)، ص(190)، ورواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي.

يومًا كتب له صوم مائة ألف يوم».

ومن آيات الله البينات أن النداء المنزل على إبراهيم عليه السلام واقع محقق منذ ذلك الوقت إلى يوم القيامة، فتحققت الغاية منه في زيارة هذا البيت وأداء مناسك الحج، والشاهد على تحقيق هذا الوعد الرباني ما نشاهده في كل عام من ازدياد عدد الحجاج والمعتمرين إلى بيت الله الحرام، وافدين من كل فج عميق، وبشتى وسائل النقل البرية والبحرية والجوية، وفي هذا بيان واضح لتحقيق وعد الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام عندما أمره بالأذان فيه بالحج.

ثم تأمل أخي القارئ ختام هذه الآية التي بدأت بالتوحيد والنهي عن الشرك في هذا النداء: (ﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[51]، فقد ختمت بالمعنى نفسه: (ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[52] فليربط المسلم بين أول حياته وآخرها، وأول أعماله وآخرها بتوحيد الله سبحانه، يبدأ حياته موحدًا ويعيش موحدًا ويموت موحدًا، ويظهر هذا التوحيد في سائر أعماله، ومن كان كذلك حكم له الرسول ﷺ بالجنة بقوله: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله

---

[51]() سورة الحج، الآية 26.

[52]() سورة الحج، الآية 26.

إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»([53]).

□□□□□

[53]() صحيح البخاري، رقم(425)، ص(74).

الوقفة الخامسة :

التوحيد في ذكريات الحجِ

إن دعوة الله تعالى عباده لأداء نسك الحج وإقامة شعائره في أيام معلومات في أشرف بقاع الأرض تحمل بعدًا عقديًا ضاربًا في أعماق التاريخ، وترسل شعاع الإيمان من ذلك العهد عندما بدأ نبي الله إبراهيم عليه السلام في بناء بيت الله وإقامة قواعده مع ابنه إسماعيل عليه السلام إلى يوم القيامة في مختلف العصور والأزمان، وتحمل في طياتها دروسًا وعبرًا للأمة، فتبعث في القلوب حب الأنبياء والرسل، وحب الأماكن التي أقيمت لتعظيم شعائر الله فيها، لا لذاتها وإنما لدلالتها على خالقها سبحانه.

وإن زيارة مكة المكرمة وبيت الله الحرام والمشاعر المقدسة في الحج لتُبين مدى ارتباط هذه الأمة بعضها ببعض، متجاوزة كل الاعتبارات العرقية والإقليمية والاجتماعية، مقتدية بأنبيائها ورسلها في كل الأزمان والأمصار، لكنها تعيد ذكر أبي الأنبياء وخليل الله إبراهيم عليه السلام أكثر من غيره من الرسل صلوات وسلامه عليهم أجمعين، لأنه كان المكلف

ببناء البيت وبالأذان فيه بالحج، وتطهيره للطائفين والقائمين والركع السجود، وقد ورد ذكر إبراهيم عليه السلام في كتاب الله في مواضع كثيرة جدًّا وفي مناسبات عدة، لعلاقته الوثيقة بركن من أركان هذا الدين، فيجد الحجاج أنفسهم يتأسون به عليه السلام، بوصفه المؤذن في الناس لأداء نسك الحج، يقول الله تعالى: (ڈ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ)([54]).

وإن زيارة هذه الأماكن المقدسة ترجع بالذاكرة إلى ذلك العهد الحافل بالذكريات والأحداث التي كانت بداية ميلاد أمة على الأرض، وفرض نسك من مناسك هذا الدين، فيتذكر الحاج قصة إبراهيم عليه السلام وهو يترك زوجته مع رضيعها في ذلك الوادي القاحل دون طعام أو شراب، ويوكلهم إلى خالقهم الرزاق الرحيم، متجاوزًا بذلك المألوف من طبع البشر في اتخاذ الأسباب وتأمين ما يجعلهم يستمرون في الحياة، بأمر من الله تعالى، ولغاية عظيمة يعلمها الحق تبارك وتعالى ولم تتبين بعد لإبراهيم عليه السلام ولا لزوجته، متيقنًا عن اليقين أن الله سيجعل لهم من أمرهم يسرًا، لا سيما بعد أن دعا لهم ذلك الدعاء العظيم الذي يحمل في كلماته معاني

([54]) سورة الممتحنة، الآية 4.

الطاعة للباري عزَّ وجل، والرحمة على زوجته وابنه الرضيع، وعلى ذريته والأمة المسلمة إلى يوم الدين: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ)[55].

ربي لقد أسكنتُ من ذريتي بالواد في قلب الهجير الظامي
فاجعل إلهي كل أفئدة الورى تهوي إليهم في رضى وسلام

ويتذكر الحاج هاجر أم إسماعيل عليهما السلام، الزوجة المطيعة لزوجها، الراضية بحكم الله وقدره، المؤمنة بالله، المتيقنة بأن ما فعله إبراهيم من أمر ربه، وأن الله لن يخذلها ولن يتركها في ذلك الوادي بين تلك الجبال منقطعة دون مأوى ودون مشرب ومطعم، ثم يتذكر وهي تهرول بين جبلي الصفا والمروة وقد أضناها التعب والعطش ورضيعها إسماعيل عليه السلام يبكي ويصرخ، فلم يصبها اليأس من رحمة الله، ولم تستسلم للهلاك، بل اتخذت الأسباب ودعت ربها الرحمة والإشفاق[56]، فتنزل رحمة الله عليهما وتخرجهما من أزمتهما

---

[55] () سورة إبراهيم، الآية 37.

[56] () وفي قصة هاجر تلك، درس عظيم لنسائنا في تعلم التوكل على الله تعالى وهو من أعظم مقتضيات توحيد الله سبحانه، فلا خوف على نفسها من عدم الرزق، ولا خوف على رضيعها كذلك، فمن توكل على الله وعمل بالأسباب كما فعلت هاجر عليها السلام فالعاقبة له وإن طال الانتظار. كما هو درس في طاعة

بزمزم الخير والبركة، وقدوم القبائل إليهما.

عين من الماء النمير فإذا الرضيع عُفَّ بالإنعام
تفجّرت في عمقها غرقت ذرا الآثام
وإذا بزمزم عين كل حقيقة أحداثها صور من الإلهام
وإذا الجبال الصم تروي قصة

وما أدراك ما زمزم، آية من آيات الله البينات، جعلها الله حدثًا تاريخيًا، وبرهانًا عينيًا على صدق رسالة الإسلام، وقد جاءت في ذكر هذه البئر ومائها أحاديث كثيرة من الرسول الكريم ﷺ، تبين فيها منافع هذا الماء للناس إلى يوم الدين، يقول الرسول ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»[57].

والآثار في ماء زمزم كثيرة فهي طعام طعم وشفاء سقم وماء مبارك، وردت بذلك أخبار وتجارب.

ويتذكر الحاج والمعتمر في تلك البقاع المقدسة، بعد تلك الأحداث، قصة بناء أول بيت لله تعالى في أرضه، على يد خليله ونبيه إبراهيم عليه السلام، (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ)[58].

زوجها.

[57]() سنن ابن ماجه، رقم(3062)، ص(443).

[58]() سورة آل عمران، الآية 96.

(ٱٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ)[59].

وفي منى يتذكر الحاج رؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وقيامه بتنفيذ أمر ربه تعالى، لأن رؤيا الأنبياء وحيٌ: (ى ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ)[60]، فيجيبه الابن البار بأبيه، المطيع لأمره، وبنفس راضية مطمئنة: (بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي)[61]، ثم يعرض لهما الشيطان ويحاول أن يصرفهما عن تنفيذ أمر ربهما، وزين لهما العصيان والإثم، لكنهما عليهما السلام، أبيا أن يمتثلا لوسوسة الشيطان، وذهبا لأمر ربهما تبارك وتعالى، إلى أن تجلت رحمة الله تعالى في الفداء: (ٱٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ)[62].

لله ما أعظم نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في قوة الاستجابة والتحمل لأمر الله، فليعي المسلم الحاج ذلك فيستجيب لأوامر الله وإن كانت في ظاهرها شاقة.

---

[59]() سورة البقرة، الآيتان 127- 128.
[60]() سورة الصافات، الآية 102.
[61]() سورة الصافات، الآية 102.
[62]() سورة الصافات، الآيات 103- 109.

ومن أجل ذلك كله قال الرسول ﷺ: «اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة فجعلها حرمًا، وإني حرّمتُ ا لمدينة حرامًا ما بين مأزِميْها، أن لا يهراق فيها دم، ولا يُحمل فيها سلاح لقتال، ولا تُخْبَط فيها شجرة إلا لعلف»(63).

ثم ترفرف بالحاج ذكريات وتطوف حوله أمجاد أمة، وتلوح له آثار وأماكن في الحرم المبارك، كانت محل أحداث غيّرت مجرى العالم بأسره، وحولته إلى معالم سادها الحق والعدالة بعدما عانت البشرية قرونًا طويلة تحت وطأة الكفر والشرك كل ألوان العذاب، فكانت رسالة الإسلام التي نزلت على خير الأنام وخاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، حيث يشاهد الحاج الأماكن التي كان يتنقل بينها الرسول ﷺ في بداية دعوته، ثم يتذكر ثقل الرسالة التي حملها هذا النبي على عاتقه وأمره الله بتبليغها إلى الناس، وما عاناه من الإيذاء من مشركي قريش وصناديدهم، ومن بني جلدته وأقربائه، إلى أن انتهت تلك الحقبة الزمنية بهجرة عدد من الصحابة إلى الحبشة والبعض الآخر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وما كانت بعدها من الغزوات والدماء في سبيل نشر هذا الدين المكلف بتبليغه إلى الناس كافة.

63() صحيح مسلم، رقم(1374)، ص(577).

والأهم من ذلك كله أن الحاج يتذكر أثناء القيام بأداء نسك الحج حجة رسولهم وحبيبهم المصطفى ﷺ وكأنه ماثل أمام أعينهم وهو يؤدي مناسك الحج، فيقتدون به في أفعالهم وأقوالهم وتنقلاتهم بين المشاعر، ويطبقون وصاياه وأوامره في الحج، والتحلي بأخلاقه ﷺ من حيث الوقار والسكينة وعدم الجدال، والرفق بالناس والتعاون معهم على البر والتقوى، امتثالًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «خذوا مناسككم»(64)، وقوله للصحابة أثناء الإفاضة من عرفان: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع»(65). وغيرها من المواقف.

فهذه الذكريات التي تطوف مع الحاج والمعتمر لبيت الله الحرام بهذه الصورة المتناسقة منذ عهد إبراهيم عليه السلام إلى وقت نزول آخر آية من القرآن، حملت معها توحيد الله عز وجل في كل حدث وحركة، وفي كل كلام ومقال، لأن المحور الذي كانت تدور حوله هذه الأحداث كلها كان محور وحدانية الله وإخلاص العبادة دون غيره من الآلهة، فيقوده ذلك كله إلى تعميق هذا المحور العظيم في نفسه، فيحكمه في شؤون حياته

64() مسند الإمام أحمد، رقم(14472)، ص(1008).

65() صحيح البخاري، رقم(1671)، ص(271)، وكذا رواه مسلم.

كلها.

□□□□□

الوقفة السادسة :

التوحيد في دعاء نبينا إبر

الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام هو العبادة، وهو من أحب ما يريد الله تعالى سماعه من عباده في أي وقت كان، هو عبارة عن تضرع العبد إلى ربه رغبة في نعيمه ورهبة من عذابه، يرجو ثوابه ويخشى عقابه، وفيه يبث العبد شكواه ومصيبته وألمه وحزنه إلى ربه الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه ترجع الأمور، فيعترف هذا العبد أمام هذا الخالق الجبار بضعفه وقلة حيلته أمام ما يعتريه من نوائب الدهر ومدلهمات الأمور، ليفرج عنه ذلك ويبدله بعسره يسرًا وبكربته فرجًا ومخرجًا، وكان ذلك سنة الأنبياء جميعًا بأحوالهم المختلفة، فهذا هو نبي الله يعقوب عليه السلام يشكو إلى الله حاله وما أصابه بعد فقدان ابنه يوسف عليه السلام فيقول: (ﭐﭑﭒﭓﭔ ﭕﭖﭗﭘﭙ)[66] وهو ما كان يفعله الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فقد شكا إلى ربه وبث إليه ضعفه وقلة حيلته في مواطن كثيرة.

---

[66]() سورة يوسف، الآية 86.

وقد حث الله تعالى عباده في مواطن كثيرة في كتابه العزيز على دعائه دون غيره، واللجوء إليه في الأمور كافة، فإنه سميع مجيب، يقول تعالى: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ)[67].

وقد وعد الله تعالى عباده بأنه سيستجيب لدعوتهم وشكاويهم إذا أخلصوا النية لذلك، ولم يشركوا في تلك الدعوات معه أحدًا من الآلهة البشرية أو المصنوعة من الأحجار والأشجار وغيرها مما يدعون من دونه عز شأنه، ووعد الذين يتكبرون عن ذلك ويلجأون إلى غيره بالوعيد الشديد والعذاب الأليم، فقال جل شأنه: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ)[68].

وقد أكد على ذلك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي»[69].

ولكن بشرط أن يكون العبد على يقين من قبول هذا الدعاء، في حالة الشدة والرخاء، وأهم من هذا كله أن يكون

---

[67] () سورة البقرة، الآية 186.

[68] () سورة غافر، الآية 60.

[69] () صحيح مسلم، رقم(6934)، ص(1186).

مطعمه ومشربه حلالًا، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنَّى يستجاب له»([70]).

ويقول عليه الصلاة والسلام أيضًا: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء»([71]).

والدعاء من العبادات المهمة في الحياة، التي حث عليها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وعلّم أصحابه وأمته من بعده كيفيته والأوقات التي يجب الدعاء فيها لتكون مجابة، ولأهمية هذا الدعاء وعظم شأنه أخبرنا عليه الصلاة والسلام أن القضاء لا يرده إلا الدعاء، فقال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»([72]).

وإن من أهم الأوقات والأماكن التي يستحب فيها الدعاء أيام الحج، لا سيما يوم عرفة، وأما في الأماكن ففي الحرم وفي عرفات، وعند الصفا والمروة وأثناء الطواف، وسائر المشاعر وأوقات الحج، لذلك كان الدعاء هو المحور القولي الأساس

---

[70]() صحيح مسلم، رقم(2346)، ص(409)، وكذا رواه الإمام أحمد والترمذي.

[71]() جامع الترمذي، رقم(3382)، ص(772).

[72]() جامع الترمذي، رقم(2139)، ص(491 – 492).

لمناسك الحج جميعها، لأن العباد قد توافدوا من أوطانهم وديارهم ما يريدون إلا اللجوء إلى خالقهم، بالتضرع إليه ليغفر لهم ما سلف من الأعمال التي اقترفوها في جنب الله، ويفتح لهم صفحة جديدة في الحياة، مليئة بالخير والصلاح، والطاعة والالتزام.

وهذا يرجع بنا إلى الوراء، عندما ترك خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام زوجته هاجر ك في تلك الأرض القاحلة، وبين تلك الجبال السوداء، نادى ربه بدعائه المعروف في قوله تعالى: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[73].

فكان الدعاء الأول للنبي الذي أذّن في الحج لربه بعد أن تركهم لإقامة توحيد الله وذكر الله والصلاة وغيره في ذلك المكان الموحش حينها، هو أن يجعل الله قلوب الناس ومشاعرهم وتصوراتهم تتجه إلى جهتهم، وأن يسبغ الله تعالى على أهله وذريته من بعده الرزق الوفير والعيش الرغيد، وقد أجاب الله تعالى تلك الدعوة، ولا تزال آثارها حاضرة إلى الآن، وستبقى إلى يوم القيامة.

وبعد أن فرّج الله عن هاجر ك وعن إسماعيل عليه السلام كربهم، وآنسهم بقدوم الناس إليهم، جاء الأمر الإلهي لإبراهيم

---

[73]() سورة إبراهيم، الآية 37.

عليه السلام، ليرجع إلى تلك البقاع ويرفع القواعد مع ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، إلا أنه لم ينقطع لحظة عن الدعاء إلى ربه والتضرع إليه، فإنه يعلم ما سيكون عليه الأمر من بعده، ويعلم أن هذا البيت إنما هو لتوحيد الله تعالى، فجعل يدعو دعاء عظيمًا لنفسه وابنه وذريته وأمته من بعده، بعد أن أرسى محور التوحيد في الأرض وأقام أركانه، فيقول الله تعالى عن هذا الدعاء، في آيات كتابه الكريم:

(ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ ﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)[74].

فإن هذا الدعاء يشمل أمورًا عظيمة في التوحيد، يمكن أن نجملها فيما يلي:

1- **دعاؤه عليه السلام بالأمان لمكة المكرمة وبيت الله الحرام**، وفي هذا الدعاء غاية عظمى للأمة، حيث لا تكون هناك عبادة ولا طاعة ولا توحيد لله وحده في حالة الخوف، لذا كان لا بد من هذا الأمن لترسيخ مبدأ التوحيد في الأرض وإعلانه للناس كافة، ونبذ كل ما يخالف هذا المبدأ من العقائد

---

[74]() سورة البقرة، الآيات 126 - 129.

الباطلة والشركيات وغيرها، وقد تحقق هذا الدعاء إلى الآن والحمد لله، وقد ذكره الله تعالى في كتابه في سورة قريش: (ٱٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ)[75].

2- **دعاؤه عليه السلام لأهل هذه البقعة المباركة بالرزق الواسع والثمر الطيب الكثير**، وتأمين حاجاتهم وتيسير أمورهم، ولكن هذا الدعاء لا يشمل كل أهل هذه البلدة، وإنما للمؤمنين منهم، فربط هذا الدعاء بالإيمان وتوحيد الله تعالى: (ئح ئم ئى ئي بج بح)[76]، وهذا فيه ربط بين الرزق الوفير والعقيدة الصحيحة.

3- **دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربهما بأن يتقبل منهما أعمالهما**، من إقامة البيت ورفع قواعده، وسائر أعمالهم وأقوالهم، وأن هذه الأعمال والأقوال ما كانت إلا موجهة للواحد الأحد الذي ينفرد بالألوهية والربوبية في هذا الكون، لذا دَعَواهُ راجيَينِ القبول والرضى: (ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ)[77]، فهو السميع لدعائهما، والعليم بأعمالهما.

4- **دعاؤهما ربهما بأن يجعلهما مسلمَينِ له**، وهو الدعاء

---

[75]() سورة قريش، الآيات 1- 4.
[76]() سورة البقرة، الآية 126.
[77]() سورة البقرة، الآية 127.

الذي ورثته الأمة عن أنبياء الله، وقد ورد هذا الدعاء في كتاب الله كثيرًا، لأهميته ومدى ارتباطه بالتوحيد، لأن المسلم لا يتوجه لأحد إلا لله، ولا يعمل إلا لله، ولا يقدم قربانًا إلا لله، لذلك كان هذا الدعاء العظيم، من هذين النبيين الكريمين عليهما الصلاة والسلام، ثم إنهما لم يدعوا لأنفسهما فحسب، بل لذريتهما من بعدهما وهذا هو شأن أنبياء الله جميعًا، يعيشون لأمتهم، ويدعون لأمتهم، ويؤذَون ويتعذبون من أجل أمتهم، والله سبحانه وتعالى استجاب لهذا الدعاء العقدي المهم، فقد كان من ذرية إبراهيم عليه السلام إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم الصلاة والسلام، حتى سمّي بأبي الأنبياء.

5- **دعاؤهما عليهما الصلاة والسلام ربهما ببيان مناسك الحج**، من الطواف والوقوف بعرفة والرمي والسعي والمبيت وغيرها، من الأمور التي ترسخ من عقيدة التوحيد في النفوس، وتنفي غيرها مما اعتنقه الجاهليون من الأعمال الوثنية والشركية، ثم طلبا التوبة لأنفسهما، لأنها مسح للذنوب والخطايا والزلات، وهو غاية معظم حجاج بيت الله الحرام، ليرجعوا إلى بيوتهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، والله تعالى يقبل منهم توبتهم واستغفارهم، ويرجعهم إلى بيوتهم كما ولدتهم أمهاتهم،

حيث يقول لهم: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم.

6- **دعاؤهما عليهما الصلاة والسلام للأمة من بعدهم بأن يبعث الله فيهم رسولًا يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم،** ويخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن شقاء عبادة العباد إلى سعادة عبادة رب العباد وحده، على أن يكون هذا الرسول من أنفسهم، معروفًا بينهم من صغره، صفحته ناصعة عندهم، لم يجربوا عليه كذبًا ولا خيانة، وقد تحقق هذا الدعاء في بعثة محمد ﷺ، وبالشكل الذي أراده هذان النبيان عليهما الصلاة والسلام، يقول تعالى في هذا النبي ﷺ: (ۋې ېېىىئائائەئەئوئوئۇئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئىئىئ)[78].

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأتْ أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام»[79].

وأخيرًا فإن التوحيد يتجلى واضحًا في الدعاء بالحج عامة، وفي دعاء أبي الأنبياء وابنه عليهما الصلاة والسلام، من خلال الآيات الواردة في قصة بناء البيت، الذي كان

---

[78]() سورة آل عمران، الآية 164.

[79]() مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم(22616)، ص(1645).

الانطلاقة الأولى لأداء فريضة الحج ومعرفة مناسكها، بالإضافة إلى الأدعية الأخرى التي علّم الرسول ﷺ أمته في كل الأوقات، وفي أيام الحج خاصة، لا سيما عند الوقوف بعرفة، قال عليه الصلاة والسلام: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[80]، فهذا الدعاء يمكن أن نسميه دعاء التوحيد، فهل يعي الحاج ذلك؟ هذا هو المؤمل من كل حاج.

□□□□□

[80]() جامع الترمذي، رقم(3585)، ص(817).

الوقفة السابعة :

التوحيد وحرمة الزمان و

لقد فطر الله تعالى السموات والأرض ضمن نظام محكم وميزان دقق، يسير وفقه ولا يحيد عنه، ذلك تقدير العزيز الرحيم، ثم إن الكائنات التي تعيش على الأرض يؤثر فيها عنصران مهمان جدًّا في حياتها، هي عنصر الزمان وعنصر المكان، فأما الأول فهو ناتج عن حركة الشمس والقمر والأرض، ثم حركة سائر الكواكب الموجودة ضمن هذه المجرة، وأما الثاني فهو الحيز الذي يحتوي تلك الكائنات وتؤثر فيها، وتكون مسخرة بعضها لبعض، وجعل الله تعالى بين هذه الكواكب والكائنات الموجودة فيها تناسقًا عظيمًا وتنظيمًا مبدعًا، وأكبر آية تنتج عن ذلك الليل والنهار، والفصول الأربعة، وكل هذه الآيات المتناسقات العظيمات دالة على وحدانية هذا الخالق وتفرده بالكون.

ثم إن الله تعالى جعل العلاقة بين مخلوقاته أساسًا لكثير من العبادات والطاعات المفروضة على الناس، فعلى سبيل المثال: لولا الشمس والقمر لما تبين أوقات الصلاة الخمسة،

وما عرف رمضان من غيره من الشهور، ولأصاب الناس حرجٌ في أمورهم كلها، سواء الدينية أو الدنيوية، وهذه نعمة من الله جل وعلا على عباده ليعلموا عدد السنين والحساب، يقول جل وعلا: (ےےۓۓڭڭۇۇ)[81].

ويقول الباري عز وجل: (ڈڈڈڈژژڑڑکککگگگگ ڳڳڳڳگگگ)[82].

وقد خص الله تعالى بعض الأماكن في أرضه بخصائص وصفات، وفضلها الله على سائر الأمكنة، وكذلك فضل بعض الأزمنة دون الأخرى، والعلة مغيبة عنا، والحكمة عنده جل شأنه.

والحج عبادة من العبادات الكثيرة التي ترتبط بالزمان والمكان ارتباطًا وثيقًا، فهو داخل في أحب الأزمان إلى الله، وفي أحب البقاع إلى الله، لذلك جعل الله تعالى للحج حرمتين، حرمة الزمان وحرمة المكان، والهدف من ذلك ـ أولًا وآخرًا ـ هو استشعار الحاج عظمة ما يقوم به في هذه البقاع وفي هذه الفترة من الأعمال والأقوال، ضمن دائرة مقدسة وكريمة عند الباري عز وجل، ألا وهي دائرة الحرمة.

---

[81]() سورة البقرة، الآية 189.

[82]() سورة الإسراء، الآية 12.

فأما بالنسبة لحرمة الزمان؛ فهي تلك الأيام المباركات التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وفضلها على سائر الأوقات والفترات، فقال جل ذكره: (ﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)(83).

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ـ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ـ ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»(84).

وأما بالنسبة لحرمة المكان، فهي تلك البقاع التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وبيّن أماكنَها وحدودها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهي معظم أراضي مكة المكرمة، وقد جعل الله تعالى لتلك البقاع حرمة وفضلًا على سائر الأمكنة، لعلة هو يعلمها ولا نعلمها، رغم أن الكون كله ملك لله يتصرف فيه كيف يشاء ومتى شاء، ولكنها تشير إلى رب العباد بأماكن لتجديد البيعة مع الله، وتصفية العقيدة من شوائب الشرك والكفر، وبالتالي تتطهر قلوبهم، فيتقربون من خلال هذه البقاع إلى الله تعالى لأداء فريضة الحج والعبادات الأخرى، وقد ذكرت حرمة بيت

---

(83) سورة التوبة، الآية 36.

(84) صحيح البخاري، رقم(4406)، ص(747).

الله الحرام وحرمة الأماكن المقدسة الأخرى في القرآن الكريم كثيرًا، يقول الله تعالى: (ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹ)[85].

ومعظم أركان الحج تكون في هذه الأماكن المحرمة عند الله تعالى، لا سيما بيت الله الحرام الذي يكون فيه الطواف والسعي، وهو المكان الأول والبقعة الأولى المباركة التي انطلق منها نداء الله تعالى لعباده بالمسارعة إلى أداء مناسك الحج، يقول الله تعالى: (ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[86].

وقال تعالى: (ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[87].

ويقول جل ذكره: (ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[88].

ولعظمة هذه البقاع وحرمتها عند الله تعالى أقسم بها الله تعالى في كتابه المبين، وسماها البلد الأمين، فقال: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[89].

---

[85] () سورة النمل، الآية 91.
[86] () سورة آل عمران، الآيتان 96 - 97.
[87] () سورة المائدة، الآية 97.
[88] () سورة القصص، الآية 57.
[89] () سورة التين، الآيات 1- 3.

وكذلك ورد حرمة هذه البقاع في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، حيث قال: «هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»([90]).

إن ربط عبادة الحج بأزمان وأماكن محرمة ومشرفة عند الله تعالى إيحاء بتوحيد الخالق جل ذكره، ذلك أنه جل وعلا ـ الخالق للكون والمتصرف فيه ـ جعل ذلك الركن العظيم ـ الذي هو الحج ـ والحافل بالعبادات والطاعات وإجلال وإكبار لله تعالى، جعل ذلك كله مرتبطًا بالكواكب الأخرى كالشمس والقمر، وفي ذلك لفتة إلى أهمية ما حول الإنسان من المخلوقات، لاستمرار حياة هذا الإنسان الدينية والدنيوية.

وقد حرم الله تعالى في هذه الأزمان المباركة والأماكن المشرَّفة أفعالًا، سواء كانت محرمة من قبل أو كانت مباحة، فإن التحريم جاء بصيغة مشددة، والمعصية جاءت مغلظة، ومن هذه الأفعال:

1- حرمة القتال: بما أن الله تعالى أراد أن تكون أزمنته المخلوقة وأمكنته المخلوقة أيضًا أيامًا وأماكن محرمة، فإنه جل شأنه حرم فيها القتال وإن كان مباحًا في بقية الأزمان

---

[90]() سنن النسائي، رقم(2877)، ص(396).

والأماكن، إلا لضرورة شديدة، حيث يقول الله تبارك وتعالى: (ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯ)[91].

ويقابل منع القتال في هذه الأماكن والأزمان، وجود الأمن والأمان، وذلك منذ أن دعا نبينا إبراهيم عليه السلام ربه بذلك، يقول تعالى: (ﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇ).[92]

ويقول الرسول ﷺ عن حرمة القتال في حرم الله: «إن هذا البلد حرام حرمه الله عز وجل، لم يحل فيه القتال لأحد قبلي، وأحل لي ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله عز وجل»[93].

2- حرمة الصيد: لقد حرم الله على المحرم الصيد الذي هو مباح بالأصل، فقال: (ﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛ)[94].

وقال: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓ)[95].

وفي هذا امتحان وابتلاء للمؤمن لصدق إيمانه وامتثاله

---

[91] () سورة البقرة، الآية 217.
[92] () سورة البقرة، الآيتان 125 - 126.
[93] () سنن النسائي، رقم(2878)، ص(396).
[94] () سورة المائدة، الآية 95.
[95] () سورة المائدة، الآية 96.

لأمر الله وقوة صبره على حرمات الله، وبالمقابل فيه تربية للنفس وتزكية للروح، في الامتناع عن الشيء المباح في أوقات معينة وأماكن محددة، حيث تتقوى هذه النفس وتحتسب عند الله الأجر والنجاة، بخلاف ما فعله بنو إسرائيل عندما نهاهم ربهم عن الصيد في يوم السبت، فخانوا وفشلوا في اختبارهم، فجعل الله منهم القردة والخنازير.

وفي ذلك أيضًا إيحاء لانصياع الناس لأمر الله وحده في أخذ الأوامر واجتناب النواهي، بخلاف المشركين الذين كانوا يأخذون أوامرهم من آلهتهم وشياطينهم، فتحقق بذلك العبودية لله الواحد القهار.

3- حرمة الجدال والرفث والفسوق والجدال: وهوما بينه الله تعالى في كتابه في زمن الحج وإن كان الفسوق وبعض أنواع الجدال محرمًا في غير الحج، ولكن جاءت حرمتها هنا لحرمة الوقت وحرمة المكان وعظمة هذا النسك، فجعل الله تعالى قبول الحج متوقفًا على هذا الشرط ليكون مكتملًا كما يرضاه الله عز وجل، ذلك لأن الحجاج مزيج من الأجناس والأعراق والعادات، وفيه ازدحام واختلاط بين هذه الأجناس والأعراض القادمين من كل فج عميق، إضافة إلى تعب التنقلات والأسفار، وبعض الأمراض، فتشكل هذه العوامل

أرضًا خصبة للنزاعات والصراعات، فجاء الأمر الإلهي لتحذير عباده الملبين لندائه، والقاصدين البقاع المحرمة، والراجين عفوه ومغفرته، أن يضع هؤلاء الناس في حسبانهم حرمة الزمان والمكان اللَّذين هم فيهما، وذلك بعدم الخوض في جدال أو نزاع، أو التلفظ بكلام غير لائق، من أجل زرع روح الحب والوئام في نفوس الحجاج، فقال تعالى: (ٱٻٻٻ ٻٻٻٻٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹٹ)[96].

وقال النبي ﷺ: «من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[97].

أما المشركون فقد كانوا يحرمون بعض الأنعام، كالبحيرة[98] والسائبة[99] والوصيلة[100] والحامي[101]، ولم تكن من المحرمات قط، وإنما دخيلة من أبواب الشرك الواسعة التي كانت عندهم، فجاء الإسلام وأبدلها بأحكام نابعة من رب واحد ومصدر واحد.

---

[96] () سورة البقرة، الآية 197.

[97] () صحيح البخاري، رقم(1819)، ص(293). وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي.

[98] () البحيرة: هي الناقة تُشق أذنها وتُخلّى للطواغيت، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن.

[99] () السائبة: هي الناقة تُسيّب للأصنام لنحو برء من مرض أو نجاة في حرب.

[100] () الوصيلة: هي الناقة تُترك للطواغيت إذا بكّرت ثم ثنت بأنثى.

[101] () الحامي: هو الفحل لا يُركب ولا يُحمل عليه إذا ضرب عشرة أبطن.

وأخيرًا فإن الحكمة التي يحرم فيها الله تعالى لعباده بعض الأفعال في زمان ما، أو مكان ما، إنما هي تمحيص لهم واختبار، لكشف مدى علاقة العباد بربهم من حيث الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وهي علامة واضحة لتوحيد هذا الخالق الذي جعل كل هذه الأحكام تخرج بعضها من بعض، منذ أن خلق آدم عليه السلام إلى أن أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم، فهي كلها تخرج من مشكاة واحدة هي مشكاة التوحيد.

وبهذا كان الحج في هذا الزمان المعين والمكان المعين، بدلالاته التي ذكرت، كلها موصلة إلى التوحيد لإحيائه وتعميقه في النفوس.

فلله ما أعظم هذا التشريع الإلهي العظيم، رزقنا الله قوة الإيمان وصدق القول والعمل، إنه سميع قريب.

□□□□□

الوقفة الثامنة :

ظهور توحيد الله في أفعه

أفعال الحج كلها دالة على التوحيد وموصلة إلى الإيمان ومعمقة للعقيدة في نفوس الحجاج، ومن ذلك:

1- في لبس الإحرام: الذي يشترك فيه الحجاج جميعهم، الروؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء، والبيض والسود، وهذا اللبس عبارة عن رداءين أبيضين نظيفين يعطي للحجاج صورة واحدة، لا يتميز به جماعة دون أخرى؛ أو لون دون لون؛ بل يحقق لهم أسمى مظاهر الوحدة والمساواة، وحدة في المشاعر والتصور، ووحدة في المظهر واللبس، ووحدة في تجردهم من الدنيا وزخرفها، واللجوء إلى خالقهم بغطاءين يواريان سوءاتهم، لأن الموقف موقف خشية ورجاء وطلب المغفرة، لا سيما أن لبس الإحرام ترافقه التلبية والاستجابة لدعوة الله إلى امتثال أمره، وتوحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عما لا يليق به، نفي الشرك عنه جل وعلا.

2- في الوقوف بعرفة: وهذا الوقوف أهم نسك في الحج، ولا يقبل الحج إلا بهذا الوقوف ولو جزءًا يسيرًا، لقول الرسول

ﷺ: «الحج عرفة»[102]، وفي عرفات تتجلى عظمة الخالق ويتجلى فيها توحيده، فالناس جميعهم في صعيد واحد، بلباس واحد، تاركين وراءهم الدنيا من أموال وأولاد وديار، رافعين أكف الضراعة إلى الواحد القهار، الغني منهم والفقير، والرئيس والمرؤوس، والأبيض والأسود، رجالًا ونساء، من أجل أن يتقبل الله توبتهم ويرجعوا إلى أهليهم وذويهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وفي هذا الموقف ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ويباهي بأهل الأرض أهلَ السماء، ويقول: «انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُرَ يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»، ولذلك يكون هذا اليوم يوم خزي وذل وصغار للشيطان، لهذه الرحمة وهذه المغفرة التي تتنزل على العباد من رب العباد، فقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام لحال الشيطان الرجيم في هذا اليوم المبارك: «ما رئي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أري يوم بدر، قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول

---

[102]() جامع الترمذي، رقم(889)، ص(219)، ورواه النسائي وابن ماجه.

الله؟ قال: أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة»[103].

وأي فعل أصرح من هذا في الدلالة على توحيد الخالق جل وعلا، إن الذي يقوم بهذا الوقوف ولا يتعمق إيمانه ويعود إلى سلوكياته الخاطئة ومعاصيه وذنوبه، لم يقدر لهذا الموقف قدره، ولم يستفد من حجه ووقوفه.

3- في الرمي: وفيه بيان لتوحيد الله تعالى بكل صوره وأشكاله، وفي الرمي حرب من المؤمنين القادمين من كل فج عميق على الشيطان الذي يوسوس للناس ويزين لهم المعاصي والمنكرات، فهو إعلان عام للعدوان على هذا المارد المتكبر الذي أبى أن يمتثل لأمر الله حينما أمره بالسجود لآدم عليه السلام قائلًا: (ﺋ ﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ ﯞﯟﯠ)[104]، فيكون رمي الجمرات مع التكبيرات التي يرددها الحجاج أثناء الرمي صورة حية لتوحيد الله تعالى، ورفضًا لفعل الشيطان ووساوسه، وفيه أيضًا تذكير وإحياء لقصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل، وتعرض الشيطان لهما لمنعهما من تنفيذ أمر الله، ومحاربتهما – عليهما السلام – له برميه ليبعد عن طريقهم، ويمضوا لأمر ربهم، وكيف أنه في النهاية تولى

---

[103]() موطأ الإمام مالك، كتاب الحج، رقم(840).

[104]() سورة ص، الآية 76.

حقيرًا ذليلًا، وفي ذلك بيان للأمة وتنبيه لها أنها بحاجة إلى مثل هذا الجمع في غير حالة الحج، لإعلان الحرب على أولياء الشيطان وأتباعه ممن يحاولون تفتيت شملها وزرع بذور الخلاف والتمزق بين أبنائها ونهب خيراتها، لتكون لها العزة والكبرياء.

4- في النحر: وهو النسك الذي يوحد فيه المسلمون ربهم بالفعل، وينبذون كل أسباب الشرك والعبادة لغير الله، وذلك بالنحر لله تعالى مخالفين بذلك المشركين الذين كانوا ينحرون لأصنامهم وأوثانهم، والنحر فضلًا عن أنها قربة يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا، إلا أنها صدقة للفقراء والمساكين، وبالتالي هو إقرار من عباد الله بألوهية خالقهم وربوبيته، وقد جاء ذلك صريحًا في كتاب الله تعالى إذ يقول: (ژژڑڑکککک)[105].

يقول ﷺ: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملًا أحب إلى الله من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بأظلافها وقرونها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفسًا»[106].

---

[105]() سورة الكوثر، الآيتان 2 - 3.

[106]() سنن ابن ماجه، رقم(3126)، ص(455).

وفي النحر أيضًا إحياء لذكرى عظيمة، وحدث مهم في تاريخ هذا الدين، ألا وهو رؤيا نبينا إبراهيم وهو يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وأن الله تعالى صدَقَه الرؤيا وفداه بذبح عظيم، قال تعالى: (ﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ ﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇ) [107].

ففي هذا الأمر تأسٍّ بأبي الأنبياء عليه السلام، واقتداء بنبينا محمد ﷺ، الذي جعل الهدي واجبًا على الحاج المتمتع والقارن، وجعل الأضحية سنة مؤكدة لكل مسلم قادر عليها بل إن من أهل العلم من قال بوجوبها، وذلك دليل قاطع على وحدة هذا الدين ووحدانية رب هذا الدين، لأن كل هذه العبادات سلسلة متصلة ومتواصلة يكمل بعضها الآخر، ابتداء من أنبياء الله الأولين عليهم الصلاة والسلام وانتهاء برسولنا عليه الصلاة والسلام، وجميعها تخرج من مشكاة واحدة، هو الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده: (ﮊﮋﮌﮍﮎ) [108] .

5- في الطواف: ويكون بالإحرام، يطوف الحجاج سبعة أشواط، في كل طواف ركنٍ أو واجبٍ أو مستحبٍ خاشعين ذاكرين، وداعين ومستغفرين، لله وحده دون سواه، والقلوب

---

[107] () سورة الصافات، الآيات 104 - 109.

[108] () سورة آل عمران، الآية 19.

واجفة إلى ربها الواحد القهار، فلا هبل ولا اللات ولا المناة؛ بل الله الواحد القهار، ثم إننا نستشعر في الطواف وحدانية الخالق من خلال حركة الطواف نفسها التي تكون عكس عقارب الساعة، والتي هي موافقة لجميع حركات مخلوقات الله الدائرية من الأفلاك في السموات، والذاريات في المواد، والخلايا في الكائنات وغيرها، وهذه لفتة في خلق الله سبحانه وتعالى أن جل حركة الكون وأداء العبادات منسجمة ومتناسقة مع بعضها البعض، وهذا دليل واضح على وحدانيته جل وعلا.

وهذا الطواف حول الكعبة هو الطواف الوحيد الذي شرع للمسلم، ولولا أن الله شرعه لما جاز، ولذا لا يجوز الطواف بأي مكان آخر مهما كانت عظمته في نفوس الناس، فالمشرع هو الله سبحانه وتعالى، فليس للحاج والمسلم بعامة إلا أن يقول: «سمعنا وأطعنا»، وهذه الاستجابة عين قوة التوحيد.

6- تقبيل الحجر الأسود: والحجر الأسود – أو الحجر الأسعد كما يسميه بعض العلماء – هو المحور الذي يجسد وحدة الأمة، وبالتالي وحدة خالقها من خلال التوجه إليه في الصلوات والدعوات، رغم أنه حجر لا ينفع ولا يضر، لكنه يعبر عن نوع من النظام بين المسلمين بمختلف أجناسهم

وأوطانهم، لتكون لهم جهة واحدة يتجهون إليها عند الطاعة والعبادة، فهو عامل للوحدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه عامل لنبذ التفرقة والاختلاف بين أبناء الأمة الواحدة، والمسلمون يقبلون هذا الحجر ويستلمونه اقتداء برسولهم الكريم عليه الصلاة والسلام، لا لأنه ينفع أو يضر، فالذي ينفع ويضر هو الله وحده لا أحد ولا شيء سواه، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك مع الله تعالى، لذلك وقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ط أمام هذا الحجر وقبله وقال مقولته المشهورة: «**إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي** ﷺ **يقبلك ما قبلتك**»([109]).

ويقول الشاعر:

الحجر الأسود قبّلته بشفتي قلبي وكلي ولهْ
لا لاعتقادي أنه نافع بل لاقتدائي بالذي قبَّلهْ
محمد أطْهر أنفاسه كانت على صفحته مرسلهْ
قبَّله والنور من ثغره يشرق آيات هدى مُنْزلهْ

وأما عن أصل هذا الحجر ومنشأه، فعن ابن عباس م قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم»([110]).

---

[109]() صحيح البخاري، رقم(1597)، ص(259)، وكذا رواه مسلم.

[110]() جامع الترمذي، رقم(877)، ص(216).

ويجدر في هذا المقام الإشارة والتنبيه إلى الخطأ الذي يقع فيه كثير من الحجاج والمعتمرين أثناء طوافهم ومحاولة بعضهم من أجل الوصول إلى الحجر الأسود وتقبيله، اقتداء بالرسول ﷺ، فإن تقبيل الحجر سنة إذا أمكن الوصول إليه دون أن يصيب أحدًا بالأذى أو الإحراج أو الوقوع في محظور، أما إذا كان هناك ازدحام ولا سبيل للوصول إليه إلا بشق الأنفس وإيذاء إخوانه المسلمين، أو الوقوع في المحظورات، فإن ذلك ينقلب إثمًا على الحاج ووزرًا عليه، وعندها يشير بيده إليه ويكبر ثم يمضي، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال لعمر ط: «**يا عمر إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله فهلل وكبر**»([111]).

7 – السعي بين الصفا والمروة: وهو تنفيذ لأمر الله تعالى، واقتداء بالسيدة هاجر عليها السلام وهي تهرول بين جبلي الصفا والمروة ليفرج الله عنها كربها في نفسها وابنها الرضيع، لعلها تجد ماء أو كلأ، فلم تنقطع هذه المؤمنة عن الدعاء إلى الله والتضرع إليه، ولم يصبها اليأس والقنوط من رحمة الله، إلى أن جعل الله من أمرها يسرًا، فأخرج الله زمزم،

---

[111]() مسند الإمام أحمد، رقم(190)، ص(54).

وأرسل إليها القبائل.

وقد اتخذه الرسول ﷺ عملًا من أعمال العمرة والحج عندما قدم يوم الفتح، فشرعه للحجاج والمعتمرين، فالمسلم وهو يؤدي هذا النسك مقتديًا بالرسول ﷺ يعلن عمق الاستجابة لله تعالى.

والحجاج يذكرون الله في السعي يرجون رحمة الله وغفرانه وتفريج كروبهم كما فرّج عن هاجر ك كربها، وإن السعي بين الصفا والمروة أيضًا سبعة أشواط، يبدأ الشوط الأول بالصفا وينتهي السابع بالمروة، وهي حكمة إلهية غابت عن الخلق علتها، أن يكون عدد أشواط السعي موافقًا لعدد أشواط الطواف.

وهكذا دلّت أعمال الحج كلها على توحيد الخالق جل وعلا، فَلْيَعِ المسلم الحاج ذلك، ويتأمله وهو يتنقل بين هذه الأعمال ويؤديها مطيعًا مجيبًا لخالقه، ليقطف ثمرة حجه وعمرته، وينال جزاءه: الجنة.

□□□□□

الوقفة التاسعة :

توحيد الله بالأقوال في ا

لا شك أن جميع الأذكار والأدعية والتلبية في الحج تدل دلالة صريحة أو ضمنية على توحيد الله في ذاته وربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، وهي بشيء من التفصيل:

1- التلبية: وصيغتها «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك له»، فهذه الكلمات تحمل بين جوانبها إقرارًا تامًّا بالعبودية لله تعالى، وتوحيده سبحانه وتعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجلاله عز وجل، ويعني ذلك أن الحاج يقول لقد دعوتنا – يا الله – لأداء هذا النسك العظيم في أحب الأرض إليك، فها قد أتيناك طائعين ومستجيبين لدعوتك لنا، وممتثلين لأمرك، فأنت إلهنا وخالقنا وموجدنا، تستحق العبودية فعبدناك، وتستحق الطاعة فأطعناك، ولن نكون طائعين لأحد سواك، فلا نشرك بك أحدًا، فأنت الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنت الذي أنعمت علينا النعم التي لا تعد ولا تحصى، في البر والبحر والسماء، فضلك علينا كثير، ومنّك علينا أكثر، ومهما

عملنا من عمل فإن ذلك لن يكون مقابل أقل نعمة أنعمت بها علينا، ثم أنت الذي بيده ملكوت السموات والأرض، لا أحد يستطيع أن ينافسك في ملكوتك، فأنت الخالق البارئ، وأنت الجبار المتكبر، لا إله إلا أنت، فإذا كان هذا شأنك يا ربنا فليس لنا إلا أن نكون لك شاكرين وذاكرين وحامدين في السراء والضراء، وفي المكره والمنشط، لترضى عنا وتدخلنا جنتك.

فالمشركون كانوا يقولون أثناء الطواف: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، فعن ابن عباس م قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ويلكم! قَدْ، قَدْ» فيقولون: إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت([112]).

والمسلم وهو يلبي التلبية يشعر بمخالفة المشركين في تأليههم لمعبوداتهم وتقديسهم لها، وهذا الشعور يمنحه قوة العبودية لله وحده لا شريك له في جميع أقواله وأفعاله وتوجهاته.

2- قول: «الله أكبر» عند القيام بالطواف أو السعي أو الرمي، إشارة أن لا إله سواه يعبد، ولا أحد أكبر من الله تعالى، فهو الكبير المتعالي، أكبر من الدنيا وأهلها وزخارفها

---

[112]() صحيح مسلم، رقم(2815)، ص(489).

وأموالها، ولا يذكر اسم أحد غيره في الأمور كلها، صغيرها وكبيرها، بخلاف ما كان يفعله المشركون في الجاهلية من ذكرٍ لآلهتهم المصنوعة من الأحجار والأشجار، لا سيما كبار الآلهة عندهم مثل هبل واللاة والعزى وغيرها، فجاء الإسلام ليزيل هذه المعالم الشركية أثناء الحج بذكره وحده جل وعلا، وتكبيره وإجلاله، دلالة على أن الكبرياء والعظمة لله وحده، وأن الصَّغار والخزي للمشركين وآلهتهم.

وفي ذلك دلالة أيضًا على أن اسم الله يجب أن يذكر في جميع أعمال الإنسان، في الحج وغيره، عند الأكل وعند الشرب، وعند النوم وعند الاستيقاظ، وعند الدخول إلى أي مكان وعند الخروج منه، وفي سائر حركات الإنسان وسلوكه، حتى تدخل في الأعمال الرحمة والبركة، وحتى يُحفظ الإنسان من شرور شياطين الجن والإنس، ويكون الله تعالى بذلك حسبه، من أجل ذلك حرص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على ذكر اسم الله عند القيام بأي عمل، حيث قال: «كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر - أو قال - أقطع»([113]).

---

[113]() مسند الإمام أحمد، رقم(8697)، ص(640)، واختلف في تصحيحه وتضعيفه ولكن عمومات النصوص تشهد له.

وفي وصيته ﷺ لعمر بن أبي سلمة ط، وكان غلامًا في حجر النبي عليه الصلاة والسلام: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»([114]).

وقوله تعالى: (ﭽﭾﭿ ﮀ ﮁﮂﮃﭼ)([115])، وقول النبي ﷺ: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه»([116])، وكذا غيرها من الأعمال.

3- دعاء يوم عرفة والاستغفار فيه: حيث يحمل كل معاني التوحيد لله سبحانه وتعالى، لقول الرسول الكريم ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»([117]).

فهذا الدعاء هو ما بُعث الأنبياء والمرسلون لتبليغه، من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، ففيه إعلان صريح للعبودية الحقة لله تعالى دون سواه، والحاج وهو يقول بأفضل ذكر في أفضل يوم لَيُعلِنُ أداءه لأفضل عمل، وهو توحيده لله

---

[114]() صحيح البخاري، رقم(5376)، ص(960).
[115]() سورة الأنعام، الآية 121.
[116]() صحيح البخاري، رقم(2488)، ص(402).
[117]() جامع الترمذي، رقم(3585)، ص(817).

سبحانه وتعالى، فما أعظمه من موقف يتجلى فيه التوحيد الخالص والعبودية الخالصة، والذل الخالص لله سبحانه وتعالى.

وفي هذا اليوم الذي يجتمع فيه الناس على صعيد واحد هو اليوم الذي ينزل فيه الله تعالى إلى السماء الدنيا، فيكون يوم الرحمة والغفران، ويوم المباهاة بخلقه على أهل السماء من الملائكة، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة»[118].

فإذا اجتمع فضل هذا اليوم مع فضل أعظم ذكر لله سبحانه وتعالى تجلت رحمة الله تعالى لعباده ومغفرته لهم، فهنيئًا لأهل الموقف استشعارهم هذا الفضل العظيم مع ذلك الذكر العظيم في هذا الموقع العظيم، ليعلنوا انطلاقة جديدة في مستقبل حياتهم كلها، معلنين توحيدهم لخالقهم واستجابتهم له في الأمور كلها.

4- ذكر الله تعالى وتوحيده أثناء الانتقال من بين المشاعر: لقول الله عز وجل: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ

---

[118]() صحيح مسلم، رقم(3288)، ص(568 – 569).

ک)[119].

وكلمة الذكر هنا عامة تشمل كل أنواع الذكر، من التسبيح والتهليل والتكبير والاستغفار وقراءة القرآن والدعاء وغيرها، وفيه إشارة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية من ضلال وظلام، حيث كان في كلامهم افتخار بالأنساب والأولاد والأموال، وليس لله فيها نصيب، وإنما كان ذكرًا للآلهة والأصنام، فضلًا عن الفروقات والتمايز الذي كان يحدث أثناء التنقل بين المشاعر، فزعماء قريش لم يكونوا يتنقلون مع سائر البشر عند الإفاضة من عرفات، وإنما كانوا يسلكون طريقًا آخر، وكذا وقوفهم بمزدلفة كان خاصًا بعيدًا عن بقية الناس، وفي ذلك استكبار وطغيان على عباد الله، فجاءت الآيات القرآنية لتزهق هذا الباطل وهذا التميز من صدور عباده، وأرشدتهم إلى الصواب، وهي إعلان تلك الحقيقة أن الخلق كلهم عيال الله، وكلهم خلقوا من آدم وآدم من تراب، فلا أنساب ولا جاه ولا لون ولا سلطان ولا تفاخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، فقال الله تعالى: (ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ)[120].

فما أعظم هذا الدين بمخالفته للجاهلية المشركة، لتتوحد

---

[119] () سورة البقرة، الآية 198.

[120] () سورة البقرة، الآية 200.

الأمة المسلمة في هذا الموقف، باجتماعهم على التوحيد ونبذ الشرك وأهله.

5- الذكر في أيام التشريق: وأيام التشريق هي الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر، وبالرغم من عدم جواز الصيام في هذه الأيام ـ بالإضافة إلى يوم العيد ـ إلا أنها أيام ذكر وتهليل وتحميد، لقول النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل»([121]).

وروي عنه ﷺ أنه كان يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة، إلى العصر من آخر أيام التشريق، فيقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد»([122]).

والحاج وهو يردد هذه الأذكار العظيمة يعمق توحيده لخالقه ومولاه ويجدده، لينطلق بعده موحدًا مهللًا مكبرًا في جميع أموره.

□□□□□

---

[121]() مسند الإمام أحمد، رقم(20997)، ص(1520).

[122]() أخرجه الدارقطني.

الوقفة العاشرة :

وحدة مصدر التلقي في

إن من رحمة الله بعباده بعد أن خلقهم وجعل لهم الأرض ذلولًا يمشون في مناكبها ويأكلون من رزق الله، ذلك أنه تعالى لم يتركهم في الحياة تائهين، يتخبطون في ظلمات الجهل، ومستنقعات الخرافات والأوهام، فأرسل إليهم رسلًا يهدون بأمر الله، ويدعون إلى صراطه المستقيم، ومنهاجه القويم، حتى لا يكون لهم حجة على الله تعالى، (ددد ئائائ ئ)[123]، ويقول جل ذكره: (چچچچڈڈڈڈژژژڑ)[124].

وقد أمر الله عباده بأداء فرائضه في كتابه العزيز، وجاء هذا الأمر عامًا من غير تفصيل في الكيفية والأداء، كقوله تعالى: (گگگں)[125]، فلم يبين الله تعالى كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها، فكذلك جاء الأمر بالحج عامًا دون الدخول في التفاصيل والفروع، وإن تطرق بعض آيات القرآن إلى بعض المناسك، ولكنها تبقى إشارات وملامح، من أجل ذلك

---

[123]() سورة الإسراء، الآية 15.
[124]() سورة النساء، الآية 165.
[125]() سورة البقرة، الآية 43.

كان من مهام الرسول ﷺ بيان هذه الفرائض للمؤمنين وكيفية أدائها، يقول الله تعالى: (ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮ)[126].

فالرسول الكريم ﷺ هو المرجع الوحيد الذي ترجع إليه الأمة لأداء مناسك الحج والعمرة وجميع أمور التشريع، لأنه المصدر الوحيد الذي يأتيه الوحي من رب العالمين، فليس معه رسول آخر يعلم الناس، وليس إله آخر يأتيه الأمر من عنده فتتباين الأوامر وتختلف، وتضطرب الأمور وتتناقض، وهذه دلالة على توحيد الخالق عز وجل، ودليل على صدق نبوة الرسول ﷺ، الذي لم يأت بشيء من عنده وإنما يوحى إليه من رب العالمين، ويبلغ ما يوحى إليه، يقول الله تعالى: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇ ﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ)[127].

ويقول جل شأنه: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇ)[128].

فمن أجل ذلك قال النبي ﷺ للصحابة في حجته: «خذوا عني مناسككم»[129] على غرار ما قال عليه الصلاة

---

[126]() سورة النحل، الآية 44.

[127]() سورة الشورى، الآيتان 52 - 53.

[128]() سورة النجم، الآيات 1- 4.

[129]() مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم(14472)، ص(1008).

والسلام في شأن الصلاة: «صلوا كما رأيتموني أصلي»([130]).

والرسول عليه الصلاة والسلام هو قدوة المؤمنين في الحج وغير الحج، يسيرون على سنته ويهتدون بهداه، يقول الله تعالى: (ﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿ)([131]).

والمؤمنون مطالبون بطاعة الرسول ﷺ لأن طاعته من طاعة الله تعالى، ومن يعرض عنه فإنما يعرض عن الله، يقول الباري عز وجل: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕ)([132]).

ويقول جل وعلا: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ)([133]).

ففي الآيات الكريمات دلالة واضحة على أن مصدر التلقي هو الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وأنه لا مجال للجدال حول كيفية أداء الحج بعد هذه الأدلة القاطعة، فلا سبيل إلا السنة النبوية المطهرة في أفعال النبي ﷺ وأقواله أثناء أدائه نسك الحج، وهذا ما اجتمعت عليه الأمة منذ أن فرض هذا النسك إلى الوقت الحاضر، وسيبقى ما دامت السماوات والأرض، وفي ذلك أكبر دليل وأوضح برهان على وحدانية

---

[130]() صحيح البخاري، رقم(6008)، ص(1051).

[131]() سورة الأحزاب، الآية 21.

[132]() سورة النساء، الآية 80.

[133]() سورة الأحزاب، الآية 36.

هذا الخالق وانفراده بالتشريع لخلقه.

وكانت حجة النبي ﷺ درسًا عمليًا للصحابة من حوله في ذلك الوقت، والأمة الإسلامية بعد ذلك إلى قيام الساعة، وكأن لسان حاله يقول: هذه هي الفريضة الأخيرة التي وجبت عليكم، تَعلّموها منّي وعلِّموها الأمة من بعدي، فإنكم لن تجدوني في العام المقبل، وهذه هي نهاية المهمة التي وُكلّتُ بها من رب العالمين، فيُلاحظ هذا التلقين واضحًا للصحابة في حجته ﷺ، ففي حديث جابر بن عبد الله الذي يروى في حجة النبي عليه الصلاة والسلام: لما دنا من الصفا قرأ (ذذذذذ ز)[134] «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأي البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبّره، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك، فقال مثل هذا ثلاث مرات[135].

ثم إنه عليه الصلاة والسلام الرؤوف بالمؤمنين والرحيم بهم، يعرف متاعب الحج وأعباءه، وتنقلات الحجيج

---

[134]() سورة البقرة، الآية 158.

[135]() صحيح مسلم، رقم(2950)، ص(513 – 514).

وأسفارهم، وازدحامهم في المشاعر المقدسة وفي بيت الله الحرام، وتبيان لغاتهم وعاداتهم وألوانهم، وكذلك يعرف أن فيهم الضعفاء من المرضى وكبار السن والنساء وغيرهم، من أجل ذلك كله كان ميسرًا للأمة أداء هذا المنسك العظيم، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ وأتاه رجل يوم النحر وهو واقف عند الجمرة فقال: «يا رسول الله إني حلقت قبل أن أرمي؟ فقال: ارم ولا حرج، وأتاه آخر فقال: إني ذبحت قبل أن أرمي؟ قال: ارم ولا حرج، وأتاه آخر فقال: إني أفضت إلى البيت قبل أن أرمي، قال: ارم ولا حرج، قال فما رأيته سئل يومئذ عن شيء إلا قال: افعلوا ولا حرج»([136]).

وقال أسامة بن شريك: خرجتُ مع النبي ﷺ حاجًا، فكان الناس يأتونه، فمن قال: يا رسول الله سعيتُ قبل أن أطوف، أو قدَّمت شيئًا أو أخرَّتُ شيئًا؟ فكان يقول: «لا حرج لا حرج، إلا على رجل اقترض عِرْضَ رجل مسلم وهو ظالم، فذلك الذي حَرجَ وهلَكَ»([137]).

وكان يقول ﷺ: «السكينة السكينة»([138]).

---

[136]() صحيح مسلم، رقم(3163)، ص(550).

[137]() سنن أبي داود، رقم(2015)، ص(292).

[138]() سنن النسائي، رقم (3022)، ص(415 – 416).

يقول الله تعالى: (ھھےےۓۓڭڭڭۇۇۆۆ)[139].

وفي هذا الدرس العملي الذي يقوم به المسلم وهو يؤدي حجه، يدرك تمامًا أنه عليه الصلاة والسلام القدوة في كل الأمور في الحج وغير الحج، فيقوّم المسلم سلوكه بناء على هذا الأصل العظيم، منطلقًا من وحدة المصدر للتشريع في حياته كلها، فلا عمل صحيح إلا ما شرعه الله تعالى أو بينه رسوله ﷺ، فلا العقل وحده يشرع، ولا الهوى والمزاج يشرع، ولا الرغبات والآراء الشخصية تشرع، فالمشرع هو الله وحده لا شريك له، وهكذا يعمل المسلم في حياته كلها باستجابة كاملة وباستسلام كامل لله سبحانه، وبطيب نفس وانشراح صدر، وعدم اعتراض أو تأفف، قال تعالى: (ۈۇۆۆ وۋۋېېېېئائائەئو)[140].

وقال سبحانه: (ٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٿٿ)[141].

فهل يعي الحاج ذلك وهو يؤدي مناسك حجه؟ إن من يدرك ذلك ويعيه هو المستفيد من الحج حقًّا، والموحد صدقًا.

---

[139]() سورة التوبة، الآية 128.

[140]() سورة النساء، الآية 65.

[141]() سورة الأحزاب، الآية 36.

□□□□□

الوقفة الحادية عشرة :

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حج

في حديث جابر بن عبد الله ط فيما روي عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب الناس وقال: «إنا دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن عصيتم به، كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك

قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبّابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم! اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات([142]).

هذه كانت آخر خطبة توجه بها رسول البشرية وإمام الهدى إلى الأمة المسلمة، يوجز فيها أهم مبادئ هذا الدين الذي بعثه الله للدعوة إليها وترسيخها في نفوس الناس، والتي جاهد من أجلها ثلاثة وعشرين عامًا، وتأتي أهمية هذه الخطبة بوصفها وصية لأهم تلك المبادئ، رغم تكرار الالتزام بها كثيرًا خلال فترة الدعوة، ولكنها جاءت هنا لعظم شأنها وخطر تركها، ويمكن إيجاز تلك المبادئ في النقاط التالية:

أ – تأكيد حرمة المسلم: وفي هذه الحرمة بيان للأمة أن المؤمن ذو شأن عظيم، نفسه وماله وعرضه، وكل ما يملك، فيجب الحفاظ عليها، وعدم الاستهانة بها، أو إهدار شيء منها، لما يترتب على ذلك من غضب وعقاب من الله تعالى، لقوله جل شأنه: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ﴾([143]).

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»([144])، وفي ذلك بيان لمكانة المسلم

---

[142]() صحيح مسلم، رقم(2950)، ص(513 – 515).

[143]() سورة النساء، الآية 93.

[144]() سنن ابن ماجه، رقم(2619)، ص(376).

عند ربه، وأنه ذو مقام رفيع وشأن عظيم.

وتظهر من هذه الحرمة أيضًا حقيقة العلاقة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، كونها علاقة عقيدة وفكر وتصور للخالق والكون والحياة، وأن الآصرة التي تربطهم ببعض تذوب فيها العلاقات الدنيوية الأخرى، من نسب أو مصالح أو غيرها، كما كانت عليه الجاهلية قبل الإسلام، وقد ضبط الإسلام علاقة العقيدة بضوابط حتى تبقى على متانتها ورصانتها، ولا تخرج من دائرتها الإيمانية، فحرّم – بالإضافة إلى حرمة الدم والمال – الحسدَ والتباغض بين المؤمنين، لقوله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»[145]، وحرّم الهجر والشحناء كذلك بين أبناء هذا الدين، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[146]، كما حرّم هذا الدين التجسس على المؤمنين وإساءة الظن بهم، قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد

---

[145]() صحيح مسلم، رقم(6526)، ص(1122).

[146]() صحيح البخاري، رقم(6077)، ص(1060).

الله إخوانًا»[147]، وغر ذلك كثير من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن.

ب – كل شيء من أمر الجاهلية موضوع: وهذا البند العظيم الذي يفصل بين الإيمان والكفر كان أساس دعوته عليه الصلاة والسلام، واحتوى معظم مناسك الحج من أفعال وأقوال هذا المبدأ، بل جاءت في الحقيقة لتثبيت هذا الإعلان الفاصل في نفوس أبناء الأمة، لتستقل شخصيتها وتصورها عما كان عليه المشركون في الجاهلية، ويمكن تقسيم هذه الجاهلية إلى نوعين:

جاهلية في الاعتقاد وجاهلية في الأخلاق.

أما الأولى؛ فهي الأصل والأساس الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وهي اتخاذ الآلهة والأرباب من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى، وجاء الإسلام وقضى على هذه الجاهلية بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة والطاعات، **وأما النوع الثاني**، وهو جاهلية الأخلاق؛ فهذه الجاهلية ناتجة عن الأولى وامتداد لها، وهي عبارة عن السلوك المنحرف الذي كان يتبعه الناس قبل الإسلام في حياتهم الاجتماعية، فمزّقت المجتمع إلى طبقات غنية وأخرى فقيرة، وإلى سادة وعبيد، وأقوياء وضعفاء،

---

[147]() صحيح البخاري، رقم(6064)، ص(1059)، وكذا رواه مسلم.

وبالتالي فقد المرجع الذي يرجع الحقوق لأصحابها، فالقانون يطبق على الضعيف دون القوي، هذا بالإضافة إلى الحالة التي كانت تعيش فيها المرأة من ظلم واضطهاد من جميع الجوانب، من حيث وأدها ودَسُّها في التراب، أو من حيث حرمانها من الميراث والحقوق الإنسانية.

أما ما أشارت إليه هذه الخطبة من هذا الفساد الأخلاقي المالي: الربا الذي كان منتشرًا في الجاهلية بشكل واسع وكبير، وكان سببًا في تقسيم المجتمع إلى طبقات متباينة بشكل فاحش، لذا جاء ذكره في هذه الخطبة الجامعة، ولما يترتب عليها مفاسد أخرى، حيث إن انتشار الربا يؤدي إلى نوع من الكسل والاستهلاك الزائد وقلة الإنتاج وضعف قيمة النقد، بالإضافة إلى تفشي الاضطرابات النفسية والأمراض العصبية بالنسبة للذين يتعاطون هذا النوع من المعاملات، وكذا شيوع البطالة والفقر، وصدق الله إذ يقول: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛ)[148].

ج – التوصية بالنساء خيرًا: وقد جاءت هذه الوصية في مناسبات كثيرة من الرسول عليه الصلاة والسلام، حرصًا منه ﷺ للحفاظ على كينونة الأسرة وتماسكها وترابط أفرادها، فمنها قوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم

---

[148]() سورة البقرة، الآية 275.

لأهلي»([149]) وذلك لبيان أن هذه المرأة بشر لها حقوق وواجبات، وأنها أمانة في عنق الرجل يسأل عنها يوم القيامة، بخلاف ما كانت عليه في الجاهلية من ظلمٍ لها وأكلٍ لحقوقها، وطعنٍ في إنسانيتها.

د – الحرص على التمسك بالقرآن وبالسنة: وذلك خشية أن تتبع الأمة السبل فتضل عن صوابها، ومن ثم تتبع البدع والضلالات، وخشية أن ترجع الأمة إلى ما كانت عليه في الجاهلية من اتخاذ الآلهة والأرباب وإن اختلفت في الصورة والشكل، فربما تتخذ آلهة من البشر، أو من القوانين الوضعية والمناهج الإلحادية التي تحارب الله ورسوله، فكانت هذه الوصية العظيمة، التي توعد الرسول ﷺ الأمة بالعز والتمكين والهداية إلى الصراط المستقيم إن هي بقيت على هذين النبعين، حيث يقول فيما يرويه مالك في الموطأ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»([150]).

وقد تعرضت السنة النبوية لهجمة شرسة من أعداء الدين، بعدما فشلوا في الطعن في كتاب الله تعالى الذي تكفل فيه جل

---

[149]() جامع الترمذي، رقم(3895)، ص(878).

[150]() موطأ مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ص(564).

ذكره بحفظه وحمايته من التحريف والتبديل، فظهر أقوام وحاولوا الطعن في الدين من خلال السنة النبوية والتشكيك في حجيتها، محتجين ببعض آيات القرآن وتأويلها حسب أهوائهم وشهواتهم، كقوله تعالى: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇ)[151]، وقوله جل ذكره: (ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)[152] ليقولوا بعد ذلك بأن السنة ليست مصدرًا من مصادر التشريع ولا يحتج بها، ونسي هؤلاء وتجاهلوا الآيات القرآنية العديدة في وجوب طاعة الرسول، وأنها من طاعة الله تعالى، وأن الإعراض عنها إعراض عن كتاب الله، كقوله تعالى: (ٱٻٻٻٻ ﮋ ﮌ)[153]، وقوله تعالى: (ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ)[154]، وغيرها من الآيات التي تأمر المؤمنين باتباع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

ولكن مهما هجم هؤلاء الأعداء الحاقدون على سنة رسول الله، فإن ذلك لن يغيّر شيئًا من هذا الدين، الذي تكفل الله بحفظه ورعايته، والذي بقي منذ أربعة عشر قرنًا ناصعًا صافيًا كما كان في جيل الصحابة رضوان الله عليهم، رغم ما تعرض له من هجمات وحروب خلال هذه الفترة، (ﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮ ﭯ ک

---

[151]() سورة الأنعام، الآية 38.
[152]() سورة النحل، الآية 89.
[153]() سورة الحشر، الآية 7.
[154]() سورة النساء، الآية 59.

)[155].

وقد تنبأ الرسول عليه الصلاة والسلام عن هذه الفئة من الناس في قوله: «يوشك الرجل متكئًا على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»[156].

وهذه الهجمة لا تزال تعمل جاهدة لهدم أركان هذا الدين عن طريق هدم السنة والتشكيك في الأسانيد والمتون من قبل المستشرقين والعلمانيين والمنافقين، لكن الله تعالى وعد – ووعده الحق -: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)[157].

هـ - توديع النبي ﷺ: كانت الكلمات الأخيرة من هذه الخطبة إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام، وأن مهمته عليه الصلاة والسلام قد انتهت بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله، وأراد أن يسمع شهادة الصحابة عن أدائه لرسالة ربه على الوجه الذي أراده الله سبحانه وتعالى، فقال بعد ما سمع كلامه: «اللهم اشهد» ثلاث

---

[155]() سورة الصف، الآية 8.

[156]() سنن ابن ماجه، رقم(12)، ص(2). وكذا رواه أحمد وأبوداود والترمذي.

[157]() سورة الحجر، الآية 9.

مرات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى انتهاء هذه المهمة بعد ذلك، وبيّن تمامها على ما أراده الله تعالى في الآية الكريمة: (ﭽﭼﭽ ﭽﭼﭾﭿﮀﮁﮂ)[158].

ثم جاءت إشارات أخرى بعد أن أكمل حجته عليه الصلاة والسلام، حينما خطب في الناس، فيما يرويه أبو سعيد الخدري ط: «إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر الصديق ط، يقول أبو سعيد: فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ، إن يكن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر لا تبك، إن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لأتخذت أبابكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، ولا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[159].

وفارق الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الدنيا وعمره ثلاث وستون عامًا .

وعندما سمع عمر بن الخطاب ط الخبر سلَّ سيفه، وتوعد

---

[158]() سورة المائدة، الآية 3.

[159]() صحيح البخاري، رقم(3654)، ص(613).

من يقول: مات رسول الله، وقال: إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى، فلبث عن قومه أربعين ليلة.

إلى أن جاء أبو بكر ط ليخبر الصحابة حقيقة الرسول عليه الصلاة والسلام، ويعرفهم بحقيقة الدين قائلًا: «أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، وتلا قوله تعالى: ﴿ئح ئم ئى ئي﴾[160]، وقوله: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک﴾[161]. قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات[162].

والمتتبع لبنود هذه الخطبة يجد بوضوح وجلاء دلالاتها على التوحيد الخالص من طرحها لكل شيء من أمور الجاهلية، وضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة، فكما ابتدأ النبي عليه الصلاة والسلام دعوته بالتوحيد، فقد ختمها في خطبته بالتوحيد، والتوحيد لا يتم إلا باطراح الجاهلية كلها، وأشدّ أنواع الجاهلية، الجاهلية في الاعتقاد.

فهل يعي الحاج هذه الوصايا العظيمة المنبثقة من التوحيد

---

[160]() سورة الزمر، الآية 30.

[161]() سورة آل عمران، الآية 144.

[162]() صحيح البخاري، رقم(4452، 4453)، ص(757).

ليحقق التوحيد، في حجه وفي غير حجه، اللهم حقّق ذلك.

□□□□□

الوقفة الثانية عشرة :

تحقيق الولاء لله والبراء:

إن الدين الذي اختاره الله تعالى لعباده منذ أن خلق الخلق هو دين الإسلام، لقوله تعالى: (ﭶﭷﭸﭹ)[163]، وهو الدين الذي دعا إليه أنبياء الله جميعهم ورسله، من آدم عليه السلام إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعمود هذا الدين الذي كان محور دعوة الرسل والأنبياء هو توحيد الله تعالى وإخلاص العبودية له وحده دون سواه، وأي دين أو منهج غير هذا الدين وغير هذه الدعوة، فهو باطل ومردود، لقول الحق تبارك وتعالى: (ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶ)[164].

وهذا الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ليكون لهم منهجًا في الحياة وشريعة كاملة، لا يأتيه الباطل، ولا يشوبه نقص ولا يعتريه تناقض، فهو منزه عن النواقص والتناقضات لأنه من عند الله، وهو دين شامل بأحكامه وحدوده، فلم يدع جانبًا من جوانب الحياة إلا وقوّمه بالصلاح، ودلّ على ما فيه خير العباد في الدنيا والآخرة، وهو دين العبادات والطاعات،

[163]() سورة آل عمران، الآية 19.

[164]() سورة آل عمران، الآية 85.

فلم يدع البشر يطبقون أحكامه في المعاملات والحدود، ويتركهم تائهين ومنقطعين عن خالقهم وبارئهم، فجاء هذا الدين بفرائض لابد من أدائها، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، لربط العباد بربهم واستشعار عظمته وإفراده بالعبودية، واللجوء إليه في السراء والضراء بالشكر والصبر.

ومن بين هذه الفرائض التي جاء بها هذا الدين فريضة الحج التي قامت في الأصل على أساس توحيد الله تعالى، فكل أعمال هذه الفريضة من الوقوف بعرفة والتحول إلى مزدلفة ثم منى، ورمي الجمرات والنحر والحلق والطواف والسعي، كلها تهدف إلى تحقيق هدف واحد، هو توحيد الله وإفراده بالألوهية والربوبية، وكذلك ما يقال عند القيام بهذه الأفعال، وما تواتر عن النبي ﷺ والصحابة الكرام عليهم رضوان الله، كلها ذكر وتهليل وتكبير وتعظيم للخالق جل شأنه، وتنزيهه من الأشباه والأنداد، كل ذلك من أجل سلامة عقيدة البشر، التي هي أساس سلوكياتهم وحركاتهم في الحياة، فكان تشريع هذا الفرض بمثابة ولاء كامل لله ولرسوله وللمؤمنين، وبراءة من الشرك والمشركين.

فقد كانت جزيرة العرب في حالة ظلام داكن من التخبط والضلال والفوضى في جوانب الحياة، ليس فقط في الجانب

الاجتماعي المتمثل في وجود فروقات طبقية ومظالم اجتماعية بين الأغنياء والفقراء والسادة والعبيد، أو النظرة الدونية للمرأة بوصفها مخلوقًا آخر، ووأدها وحرمانها من الميراث، وتطبيق أحكام جائرة عليها عند وفاة زوجها، وغير ذلك من الضلالات والظلمات التي كانت تسود تلك المنطقة خاصة، والعالم من حولها عامة، وإنما كان هذا الفساد قد تخلخل وتعمق في صلب العقيدة والتصور عن الخالق جل وعلا، ويمكن إيجاز تلك العقيدة الباطلة في النقاط التالية:

1- **اتخذوا من دون الله آلهة يقدمون بين يديها كل شؤونهم ومشكلاتهم**، وطاعاتهم وعباداتهم، رغم اعتقادهم بوجود الخالق جل ذكره، إلا أنهم زعموا أن تلك الآلهة تقربهم إلى الله زلفى، قال الله تعالى: (ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) [165].

وأما عقيدة التوحيد فكانت بعيدة عن أذهانهم ويستغربون منها ويتعجبون، رغم إقرارهم واعترافهم بوجود الله جل شأنه، وأنه الخالق للسماء والأرض، قال تعالى: (ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ

---

[165]() سورة الزمر، الآيتان 3 - 4.

ﭽﭾ ﭿ ﮀﮁﮂ ﮃﮄﮅ)([166]).

لذلك كانوا يقولون أثناء التلبية: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك.

2- **عبدوا الملائكة لأنهم زعموا أنها بنات الله،** وصنعوا لها أصنامًا وعبدوها، من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى، قال تعالى: (ﮈﮉﮊﮋﮌﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒﮓﮔﮕ ﮖﮗﮘﮙ ﮚﮛﮜﮝﮞ ﮟﮠﮡﮢﮣ ﮤﮥﮦﮧ ﮨﮩﮪﮫ ﮬﮭﮮﮯ ﮰﮱ ﯓﯔﯕﯖﯗ ﯘﯙﯚﯛﯜﯝ ﯞﯟ ﯠﯡﯢ ﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪ ﯫﯬ ﯭﯮ)([167]).

3- **وقالوا أيضًا إن بين الله سبحانه وتعالى وبين الجن نسبًا وإن له سبحانه وتعالى منهم صاحبة ولدت له الملائكة!** لذلك عبدوا الجن أيضًا، قال تعالى: (ﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬ ﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴ ﯵﯶﯷﯸ ﯹﯺ ﯻﯼﯽ ﯾﯿ ﰀﰁﰂﰃﰄ ﰅﰆﰇﰈ ﭑ ﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗﭘ ﭙﭚﭛﭜ ﭝﭞﭟﭠﭡ ﭢﭣﭤﭥﭦ ﭧﭨ ﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯ ﭰ)([168]).

4- **عبدوا الكواكب والنجوم والشمس والقمر،** وهذه العبادة جاءتهم من الفرس، فقال الله تعالى في ذلك: (ﯜﯝﯞ ﯟﯠ ﯡ

---

[166]() سورة ص، الآيتان 4 - 5.

[167]() سورة الزخرف، الآيات 15 - 20.

[168]() سورة الصافات، الآيات 149 - 159.

ﯾﯿﯾﯿﺪﺪ ﺋﺎ)[169].

عبدوا تماثيل الصخور من دونك الأحجار والأشجارا
وقدسوا لم يبلغوا من هديها أنوارا
عبدوا الكواكب والنجوم
جهالة

5-**كانوا يطوفون حول الكعبة عراة، ويقولون**: لا نطوف في ملابس عصينا فيها، وهذا فساد أخلاقي كبير وتشريع جاهلي باطل، وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى: (ﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖ)[170]، هذا من حيث الفعل، أما من حيث القول فكان ذكرهم أثناء الطواف صراخًا وتصفيقًا وتصفيرًا، وتعظيمًا لكبار آلهتهم كاللات وهبل، قال الله تعالى: (ﭨﭩ ﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰ ﭱﭲ ﭳ)[171].

وروى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به»[172].

---

[169] () سورة فصلت، الآية 37.
[170] () سورة الأعراف، الآية 31.
[171] () سورة الأنعال، الآية 35.
[172] () صحيح البخاري، رقم(4376)، ص(742).

هذه من أهم ما كان يفعله المشركون في الجاهلية في عباداتهم عامة، وفي الحج خاصة، من أفعال الشرك بالله تعالى، فجاء الإسلام ومحاها وحاربها محاربة شديدة، ودامت هذه المعركة بين عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، إلى أن أظهر الله هذا الدين ومكّنه من الكفر والشرك، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله وتوحيده هي العليا، وتم بذلك إعلان عام في كل مكان على الشرك وأسبابه والتبرؤ منه، وإعلان الولاية لله، وإفراده وحده بالعبودية.

قال الله تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک﴾[173].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذِّنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى ألّا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ثم أردف النبي ﷺ أبا بكر بعليِّ بن أبي طالب م، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة، وألّا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[174].

---

[173]() سورة التوبة، الآيات 1 - 3.

[174]() صحيح البخاري، رقم(4656)، ص(799).

وأخيرًا يقول الله تعالى: (ﭽﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﭼ)[175] إلى قوله تعالى: (ﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ)[176].

ومن خلال هذا كله يتبين أن الحج يحقق تعميق الولاء لله سبحانه وتعالى، والبراءة من الشرك وأهله، فعلى الحاج أن يحقق الولاء لله في أعماله كلها، وينبذ الشرك في أعماله كلها، ليتحقق توحيده لخالقه سبحانه.

□□□□□

---

[175]() سورة الحج، الآية 26.

[176]() سورة الحج، الآية 30.

الوقفة الثالثة عشرة :

ما يخرج به الحاج من ذ
وهو ثمرة تعبه ونص

وفي نهاية هذه الرحلة الإيمانية، وبعد انقضاء أيام الحج، وفي أطهر البقاع على الإطلاق، وأحبها إلى الله، يرجع الحجاج إلى أوطانهم وذويهم، راجين من مولاهم تبارك وتعالى أن يتقبل حجهم، وأن يضع أجر تلك الرحلة في موازين حسناتهم، ويمكن الإشارة إلى ما يخرج به الحاج من رحلة الحج من خلال النقاط التالية:

1- مغفرة الذنوب :

من أهم ما يجنيه الحاج من حجه وهي ثمرة أتعابه وأسفاره ودعواته وثنائه لخالقه، وتعظيمه شعائره، وإفراده بالألوهية والربوبية، هو المغفرة التامة من الذنوب والخطايا، والطهور الكامل مما كان عالقًا به من الأوزار والمعاصي، وهو الغاية التي كانت من أجلها رحلته وزيارته لأداء هذا النسك العظيم، يقول المطصفى عليه الصلاة والسلام: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير

خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»([177]).

ويقول أيضًا: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النارمن يوم عرفة»([178]).

وعن جابر بن عبد الله ط قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من محرم يضحى لله يومه يلبي حتى تغيب الشمس إلا غابت بذنوبه فعاد كما ولدته أمه»([179]).

2-تطهير القلب وعدم الرجوع إلى المعاصي:

كما أن الحج رحلة بدنية ومالية يجهد فيه الحاج ويتعب، من حيث أسفاره من بلاده التي قد تبعد آلاف الأميال، تنقلاته بين المشاعر المقدسة وسط ازدحام سكاني هائل، وكما أنه بذل المال الكثير في سبيل الوصول إلى هذه البقاع المباركة، بالرغم من هذا كله إلا أنه رحلة روحية تتطهر فيه النفس وتسمو إلى أعلى مراتب النقاء والصفاء، لأن أيام الحج المباركة هي ذكر لله تعالى وتعظيم له ولشعائره، وتنفيذ لأمره، لا يدخلها شيء من حطام الدنيا ومشكلاتها، وليس فيها خصام

---

[177]() جامع الترمذي، رقم(810)، ص(202).

[178]() صحيح مسلم، رقم(3288)، ص(568 – 569).

[179]() سنن ابن ماجه، رقم(2925)، ص(423).

ولا جدال، من أجل ذلك قال رسولنا الأمين عليه الصلاة والسلام: «من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»([180]).

فإذا رجع الحاج إلى أهله وبلده وقد غفرت خطاياه، وأصبحت صفحته عند الله تعالى بيضاء كصفحة الطفل الوليد، فعليه أن يحافظ على النقاء في صحيفته، وأن يتوب إلى الله تعالى ويطلب منه القوة والثبات على طاعته، ويقول بعد كل صلاة كما أوصى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام معاذًا: «يا معاذ إني أحبك، فقل دبر كل صلاة: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، والنفس إذا تمرست واعتادت على الطاعة والذكر أيام الحج فإنه يسهل عليها الاستمرار والبقاء على هذا النمط بعد الحج، فيكون الحج فرصة للحاج بعدم العودة إلى المعاصي كسابق عهده قبل الحج، ليبقى القلب معلقًا بالله ورسوله ولا يخرج عن أمرهما.

3- رفعة في الدرجات :

بالإضافة إلى أن الله تعالى يغفر للحاج ذنوبه ويرجعه إلى أهله كيوم ولدته أمه، فإن هذا الحاج يصبح صاحب منزلة

---

[180]() صحيح البخاري، رقم(1819)، ص(293)، وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي.

عالية عند ربه ومقام كريم، لأنه استجاب لأمر خالقه حينما ناداه: (ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ)[181]، وترك الدنيا وراءه، وتجرد عن الملذات والشهوات في سبيل هذا النداء، فأعد الله لهذا الحاج مقامًا خاصًا، يقول عليه الصلاة والسلام: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[182].

4- تعظيم الله :

وتعظيم الله تعالى من أهم مقاصد الحج بداية، ثم إنه ثمرة من ثماره، فالحاج لا يردد أثناء أيام الحج إلا ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره، وذلك تعظيم لله تعالى، فالذي استجاب لأمر الله وندائه عندما ناداه بالحج، والتزم خلال مسيرة الحج بآداب النبوة وأخلاقيات الرسول ﷺ في أفعاله وأقواله إنما هو أكبر تعظيم للخالق تبارك وتعالى، على خلاف ما كان عليه المشركون الذين كانوا يعظمون كبار آلهتهم في هذه الأيام المباركات، فلم يجاوزوا تعظيم اللات والعزى وهبل، يقصدونهم بكل شيء، ويقدمون لها قرابينهم وطاعاتهم.

5- تجديد الحياة :

والحج انطلاقة لحياة جديدة مليئة بأعمال الخير

---

[181]() سورة آل عمران، الآية 97.

[182]() صحيح البخاري، رقم(1773)، ص(285)، كذا رواه مسلم.

والصلاح، والطاعات والعبادات، وانطلاقة لهجر المعاصي والذنوب، والرجوع إلى الله تعالى بقلب صادق وعقل منير، لتكون الخطوات القادمة كلها لله، وتكون الحركات والأنفاس كلها في سبيل الله، قبل أن يحل بالدار هادم اللذات ومفرق الجماعات، فيندم حينها العبد حيث لا ينفع الندم، ويتمنى أن يرجع إلى الدنياحيث لا رجعة إليها، يقول الحق تبارك وتعالى: (ﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [183].

6- الخلف عليه في رزقه:

إن أي عمل يبتغي فيه الإنسان رضي الله تعالى ويطمع بثوابه وجناته، فإنه يعد تجارة عظيمة مع الله تعالى، وهذه التجارة لها مكسب دنيوي وأخروي، فالمال الذي يصرف في سبيل الله يعوضه الله أضعافًا في الدنيا، فضلًا عن الأجر يوم القيامة، حيث يزكيها له ربه أضعافًا مضاعفة إلى أن يشاء، لذلك كان الأوائل من سلف هذه الأمة لا يعتبرون للمال وزنًا في طاعة الله تعالى، لأنهم فهموا الآية القرآنية: (ﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄ﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ)

---

[183]() سورة الزمر، الآيات 54 - 58.

و)[184]، وأدركوا أن التجارة الحقيقية مع الله تعالى، رغم أن الله سبحانه وتعالى يعوض كل مال أنفق في سبيل الله، وأما الذي يعتقد غير ذلك فإنما هو وسوسة من الشيطان الرجيم الذي يعد أوليائه بالفقر، يقول الله تعالى: (ﯓﯔﯕﯖ)[185].

7- تصحيح العقيدة :

وإن من ثمرات الحج بعد أن ينال الحاج نَصَب العبادة وتعب الأسفار، أنه يرجع إلى أهله وديارِه بصفاء في عقيدته إذا أدّى حجه على الوجه الشرعي، وذلك بعبادة الله وحده دون سواه من الأصنام والأشخاص، يعود هذا الحاج إلى أهله وقد حمل إليهم حقيقة العبودية التي ذاقها في تلك البقاع الطاهرة، ولذة الطاعة لله الواحد القهار، دون توسل لأحد أو اتخاذ وساطة لذلك، وهو الهدف الأسمى من أداء هذا النسك العظيم، يقول الله تعالى: (ﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂ)[186].

فيا أيها الحجاج: صححوا عقيدتكم، ونقوا توحيدكم، ووحدوا الله في الألوهية والربوبية، وفي الأسماء والصفات، فما معنى أن يحج الحاج وهو لا يزال يعبد قبرًا وينادي وليًا، ما معنى أن يأتي بأفعال تنافي التوحيد أوكماله وهو يأتي بما

---

[184]() سورة التوبة، الآية111.

[185]() سورة البقرة، الآية 268.

[186]() سورة الحج، الآية 26.

يناقض الدين، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان شغله الشاغل تصحيح هذه العقيدة، فقد روى البخاري عن عائشة وعبد الله بن عباس م قالا: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال، وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وثبت عنه ﷺ أنه قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[187].

ثم ما معنى أن يحج الحاج ثم يترك الصلاة بعد الحج، والرسول ﷺ يقول: «العهد ا لذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[188]، وما معنى أن يحج الحاج ثم يتساهل بلسانه وأفعاله في معصية الله تعالى بعد الحج، والرسول ﷺ يقول: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[189]، وما معنى أن تحج المرأة ثم تعود إلى ديارها وتخالف أوامر الله بالخروج السافر إلى الأسواق والمحلات لغير حاجة، وغيرها وغيرها أيها الحجاج.

فحققوا التوحيد بعد أن استجبتم لنداء الله.. وأنفقتم

---

[187]() موطأ مالك، كتاب النداء للصلاة، ص(136).

[188]() جامع الترمذي، رقم(2621)، ص(595).

[189]() سنن ابن ماجه، رقم(3973)، ص(571 – 572).

الأموال.. وتركتم الأهل والديار..وأنهكتكم الأسفار.. ولتحذروا من العودة إلى الذنوب والمعاصي.

□□□□□

الـخاتـمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء، فبه ختمت الرسالات، وعلى آله وأصحابه أولي الطهر والـمَكْرُمات، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى أن تبعث البريات.

أما بعد: فقد عشنا ـ والله الحمد والمنة ـ في الصفحات السابقة تأملات في عبادة من أعظم العبادات، ذلكم هو الركن الخامس من أركان الإسلام: الحج إلى بيت الله الحرام، وتركزت هذه التأملات في وقفات محددة في دلالة هذا الحج العظيم على أعظم مقصد من خلق الخليقة وبعث الرسل وإنزال الكتب، ألا وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبودية الحقة دون سواه.

ودلالة الحج على ارتباط المسلم بربه وتوحيده ابتدأ من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت إلى تشريع الحج، فضلًا عن أقواله وأعماله، ومخالفته لحج المشركين الذين يعظمون آلهتهم في حجهم، مرورًا بوصايا رسول الله ﷺ وخطبه، وبخاصة في خطبة عرفة، وظهور تعظيم شعائر الله، وبخاصة الذبح والنحر، ودلالة هذا الحج على تحقيق الولاء لله

سبحانه، والبراءة من الشرك وأهله، إلى غير ذلك من الدلالات العظيمة في الحج، من وحدانية الله تعالى وعظمته، وضرورة توحيده وعبادته، وإخلاص العبادة له سبحانه، ومن ثَمَّ ما يخرج فيه الحاج من مغفرة الذنوب ورفعة الدرجات ودخول الجنة، مع المنافع الدنيوية الكثيرة.

وفي ختام هذه الوقفات؛ أكرر الدعوة لكل مسلم بعامة، ولكل حاج بخاصة، إلى تجريد العمل لله سبحانه، وإخلاصه له جل وعلا، والتأمل في الحج قبل أدائه وأثناءه وبعده، ليزيد الإيمان ويتعمق التوحيد وتعظم شعائر الله سبحانه، فيصل إلى التقوى: ﴿ٹٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾[190]، ثم ﴿ٱ ٻ ٻ﴾[191]، و﴿ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾[192]، و﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ﴾[193].

أسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك، وأن يجعل عواقب أمورنا إلى خير، وأن يتقبل من الحجاج حجهم، ويخلف عليهم بذلهم، وأن يحقق لهم ما يرجون من الخير في الدنيا والآخرة، إنه سميع قريب مجيب.

---

[190]() سورة الحج، الآية 32.
[191]() سورة النبأ، الآية 31.
[192]() سورة القمر، الآيتان 54 - 55.
[193]() سورة المائدة، الآية 27.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغير

الرياض 1424هـ

ص.ب 41961 الرياض 11531

Faleh@alssunnah.com

□□□□□

ثبت المراجع

القرآن الكريم.

1- جامع الترمذي، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض 1420هـ، 1999م.

2- سنن ابن ماجه، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض 1420هـ، 1999م.

3- سنن أبي داود، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض 1420هـ، 1999م.

4- سنن النسائي، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دارالسلام، الرياض 1420هـ، 1999م.

5- السيرة النبوية لابن هشام؛ علق عليها وخرج أحاديثها وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري. ط1، دار الريان للتراث، القاهرة 1408هـ، 1998م.

6- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/ الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة 1418هـ/1997م.

7- صحيح البخاري، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض 1420هـ، 1999م.

8 – صحيح مسلم، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض 1420هـ، 1999م.

9 – مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1419هـ، 1998م.

10 – الموطأ للإمام مالك بن أنس؛ صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

□□□□□

فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحـة
o المقدمة.....	3
o الحج حقيقته	7

وتاريخه:.....	
o التوحيد في تشريع الحج.....	13
o التوحيد وفضائل الحج.....	21
o النداء الإلهي للناس بأداء فريضة الحج والاستجابة لهذا النداء.....	29
o التوحيد في ذكريات الحج.....	35
o التوحيد في دعاء نبينا إبراهيم عليه السلام.....	43
o التوحيد وحرمة الزمان والمكان.....	53
o ظهور توحيد الله في أفعال الحج.....	63
o توحيد الله بالأقوال في الحج.....	73
o وحدة مصدر التلقي في أداء مناسك الحج.....	81
o خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع	89

والتوحيد.....	
o تحقيق الولاء لله والبراءة من الشرك وأهله في الحج....	99
o ما يخرج به الحاج من حجه وهو ثمرة تعبه ونصبه....	107
o الخاتمة.....	115
o ثبت المراجع.....	118